

المسلسلة التاريخية

الموسوعة البرتغالية

تاريخ الخليج والبحر الاحمر

في أسفار بيدرو تيخسيرا



ترجمة : د. عيسى أمين

من إصدارات مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع

تاريخ الخليج والبحر الأحمر

في اسفار بيدرو تخسيرا

ترجمه عن الانجليزية دكتور / عيسى امين

من اصدارات:

مؤسسة الايام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع

الهيئة العامة للكتاب
رقم الكتاب 953 - 53
رقم المجلد ٢٠٣٨٠٠

السلسلة التاريخية

كتاب: تاريخ الخليج والبحر الاحمر

في اسفار بيدرو تخسيرا

ترجمة: د. عيسى امين

رقم الإيداع في المكتبة العامة - البحرين

1972 د.ع / 1996 م

من اصدارات مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع

المقامة - البحرين ص. ب: 8232

هاتف: 727111 فاكس: 723800

الاهداء

الى عشاق التاريخ ومحبي المعرفة
اقدم هذا الكتاب

تاريخ الخليج والبحر الأحمر
في أسفار بيدرو تكسيرا
ترجمه عن الانجليزية دكتور/ عيسى أمين

حبا في معرفة تاريخ الخليج، ورغبة في دراسة اصول التدخل
الاجنبي واسبابه، اقدم هذه الترجمة لكتاب نادر آمل ان ينال اعجاب قراء
اللغة العربية.

د. عيسى أمين
1995/12/8

الفصل الأول

بيدرو تخسيرا

بيدرو تخسيرا

نحن لا نعلم الكثير عن بيدرو تخسيرا بقدر ما يذكره هو عن نفسه في كتابه. ولقد جاء ذكره في مقدمة الدكتور ام. كايسلرلنج (Dr M. Kayserling) لكتاب اى. جى بنجامين (I. J. Benjamin) (ثمانى سنوات في اسيا وافريقيا) طبعة هانوفر 1868 قائلا «أن بيدرو تخسيرا يهودي من البرتغال ومن اليهود الذين لم يجرؤوا بالافصح عن ديانتهم او تعليم ابنائهم ديانة الآباء، ورغم انه ولد لعائلة يهودية في لشبونة الا ان تعليمه لم يكن له صلة بالعقيدة».

ولذلك فانه يبدو لنا وكأنه لم يكن يتحمل الوازع الذى يفرض عليه التسليم الكامل للخالق (والمغروز فيه بالفطرة) الامر الذى سوف نرى ملامحه في كل صفحة تقريبا من كتاب اسفاره.. ورغم ذلك نحن نعتقد ومن خلال ملخص اسفاره بأنه ولفترة طويلة سابقة لوصوله الى (انتورب) كان بيدرو ملتزما بالعقيدة المسيحية وانه كان كاثوليكي ملتزم - رغم وجود كتابات اخرى تنفي ذلك.

ويبدو ان نصيبنا في معرفة اي شىء عن عائلته سوف يكون اقل من معرفتنا له شخصا حيث انه كان يفضل كتمان الامر مع تصريح عابر بأنه كان عاشقا للتاريخ في يفعه.

وبما اننا قد سلمنا منذ البداية بجهلنا لهذه الشخصية فاننا نستطيع ان نقول الآن اننا ايضا نجهل مهنته او حتى نشأته العملية وبداية حياته، مع احتمال بسيط في انه ربما كان طبيبا او له صلة بالعقاقير النباتية وذلك وكما يذكر هو عن التداوى بالاعشاب ومنافعها في كتابه اثناء رحلاته في الشرق.

ونظرا لعدم ذكره الاسباب الرئيسية لسفره الى الشرق (الهند) ووصوله اليها في عام 1587 مع احدى سفن الاسطول البرتغالي (قادما من البرتغال في عام 1586)، فاننا نعتقد ان رواية كوتو (couto) في كتابه ديكادا ديسميا (Decada Decima) تكاد تبين لنا هذه الاسباب حيث يقول «لقد بلغ الملك ان بريطانيا تجهز اسطولها للتوجه الى جهة غير معروفة حتى الآن - ولكن وخوفا من اتجاه هذا الاسطول الى الهند او مناطق قريبة في ملقه (Malaca) فانه ابي الملك يود ان يرسل رسالة عاجلة الى القبطان المسئول عن القلعة هناك بأخذ الحيلة وان يُبلغ نائب الملك في الهند عن الاستعداد لمساعدته الاول في وقت حاجته. لذا اصدر الملك اوامره الى سفن الاسطول (الغلايين) وخاصة السفينة (ريس ماغوس) (Reys Magos) بالاستعداد للتوجه الى ملقا.

وتم تعيين القبطان جو كاكو. دي. اندراى (Joao Gago de An-drade) الرجل الذي سبق له زيارة الهند سابقا قائدا لهذا الاسطول. ابهر القبطان المذكور من البرتغال في 5 يناير 1586 وقد امر الملك (استيفان دافيغا (Estevao da Veiga) المرسل من قبل الملك الى الهند لتسليم الرسالة الى نائبه (نائب الملك) د. دوارتي (D. Duarte) في الهند ورسالة اخرى الى القبطان في قلعة موزمبيق والذي اخبره الملك فيها باعداد السفن لترافق استيفان دافيغا وارسالها الى الهند للغاية المطلوبة... اما باقي سفن الاسطول فقد توجهت من البرتغال الى الهند في مارس بقيادة القبطان دي - جورنيمو - كوتينو (D. Jeronymo



خريطة لسواحل شرق إفريقيا والخليج رسمها رسام البحر لخط البحر لافي لاسطون فالسكو بمجاني
عام 1497م.

Coutinho في السفينة القديس توما (S. Thom'e) ويرافقه القباطنة انتونيو جوميس (Antonio - Gomes) في السفينة كرنجه (Caranja) ومعه مانويل ديسوزا كوتينو (Manoel desousa Coutinho) والذي قلد الاوسمة (في السابق) لقيادته حامية ملقه ورحلته الى اليابان وزواجه من ابنة رجل مسيحي ذي ثروة وترشيحه لمركز نائب الملك في الهند بعد وفاة (دي. دوارتي).

اما السفن الاخرى فكانت السفينة سلفادور (Salvador) وقبطانها ميجويل. دي. ابرو (Miguel De Abreu) والسفينة ريليجوياس (Religuias) وقبطانها فرنسيسكو. كافاليرو (Francisco Ca-valleiro) والقديس فيليب (S. Filippe) وقبطانها جو. توجير يوس (Joao Trigueiros). ولقد اخذت كل هذه السفن الحيلة والحذر في ابحارها خوفا من مواجهة مع الاسطول الانجليزي - ولو فرضنا ان بيدرو تخسيرا كان على ظهر احدى هذه السفن فانه يكون قد وصل الى جوا في الهند في سبتمبر 1586.

ولكن يبدو مرة اخرى ان تخسيرا لم يهتم بوصف ما رآه في جوا مثل ما فعل قبله الهولندي جان هيوخن (Jan Huyghen) والذي ترك لنا وصفا مصورا للمدينة التي سكنها لعدة سنوات قبل وصول تخسيرا.

ولكن نستطيع من خلال قراءة التاريخ ان نجزم ان وصول تخسيرا الى جوا تزامن مع استعدادات بحرية اخرى من قبل البرتغاليين للانتقام من الاتراك وحكام سواحل شمال غرب افريقيا والذين هزموا الاسطول البرتغالي (في البحر الاحمر في شهر مايو 1586) تحت قيادة روى

قونسالفس داكامارا (Ruy Gonsalves Dacamara) واسروا الكثير من بحارته.

انتهز تخسيرا قرار نائب الملك (في ارسال اسطول تأديبي للبحر الاحمر والخليج والذي كانت مسئوليته الاولى الابحار الى هرمز ومن ثم الى مسقط لبناء قلعة فيها لردع الاسطول العثماني) وابحر تخسيرا مع هذا الاسطول.

في 9 يناير 1587 (وتحت قيادة القبطان مارتيم القونسو ديملو) (Martim Alffonso demello) تبحر اثنتان من الغلايين

البرتغالية ترافقها ست عشرة سفينة اخرى بجنودها وبيدرو تخسيرا بعد حصوله على تصريح خاص لمرافقة الاسطول المتجه إلى مسقط.

وبعد عدة ايام كان اول مكان وصل اليه الاسطول في الساحل الافريقي هو امبازا (Ampaza) فقتل ملكها ومساعديه واحرقت المدينة بعدها توجه الاسطول الى باتي (Pate) حيث طلب الحاكم فيها الرحمة والمغفرة من البرتغاليين وثم الى جزيرة لامو Lamo حيث سبق لملكها ان قام بتسليم روكو. دي. بريتيو (Reque de Brito) ومرافقيه الى الاسطول العثماني.

هرب ملك لامو قبل وصول الاسطول تاركا زوجته فقام البرتغاليون بتنصيبها ملكة على الجزيرة انتقاما من زوجها - وواصل الاسطول ابحاره الى مالندي (Malindi) والتي قام ملكها باستقبال البرتغاليين استقبالا عظيما ورافقهم الى مومباسا - (Mombasa).

دخل البحارة البرتغاليون مومباسا بعد استسلام ملكها وسقوط

القاعة البرتغالية في مومباسا



قلاعها وحصونها فأحرقوها بعد أن خرج منها الملك ورعاياه بعد أن طلب من البرتغاليين الصفح عنه، ومساعدته في عودته إلى ملكه، ورغم وساطة ملك مالندي لم يوافق مارتيم الفونسو على ذلك وغادرها هو واسطوله إلى الخليج ما عدى سفينة واحدة أرسلت إلى نائب الملك في الهند حاملة رأس ملك أمبازا المشوه.

تزامن مغادرة السفن البرتغالية مع وصول السفينة سلفادور والتي كانت قد أبحرت من كوشين (cochin في الهند في نهاية 1586) في طريقها إلى أوروبا محملة بالتوابل وكانت قد صادفتها عاصفة في الطريق قرر قبطانها بعد الخل الذي أصاب سفينته الالتحاق بالاسطول البرتغالي في البحر الأحمر فتم قطرها إلى هرمز حيث حُطمت بعد نقل البضائع منها إلى سفن أخرى.

تزود الاسطول البرتغالي وهو في طريقه إلى هرمز بالمواد الغذائية من مالندي وبالماء في سوقطره وليوا (Teive) في جنوب مسقط. ويذكر تخسيرا لنا أن في زيارته لمسقط شاهد الكم الهائل من الاسماك فيها وتعجب من طرق صيدها - بواسطة البحارة العمانيين. يصل الاسطول بعدها إلى هرمز ليوصل رحلته بعد عدة أيام إلى جزيرة قشم ولكن يضطر إلى العودة وذلك لمرض القائد مارتيم الفونسو الذي توفي بعد عودته إلى هرمز ودفن فيها.

في سبتمبر 1587 يغادر الاسطول البرتغالي هرمز متوجها إلى جوا تحت قيادة والد زوجة مارتيم الفونسو (سيماو. دي. كوستا) (Simao da costa) ليصل إلى جوا في أكتوبر من نفس العام.



رسم برتقالي (1400م) بين قلعة ط في أعلى الصورة وهو من كتاباتون ومات

ورغم ان تخسيرا كان مرافقا لهذا الاسطول منذ بداية الرحلة من جوا نجد ان الوصف الوحيد الذى يتركه لنا هو عن مدينة مسقط فقط اما المناطق الباقية فلم تذكر بتاتا.

لقد كان الوجود البرتغالي آنذاك يمتد الى بحر الصين ويتمتع بمراكز عسكرية تجارية مهمة انشئت لثلاث مهمات الاولى منها عسكرية والثانية تجارية والثالثة وفي بعض المناطق فقط ادارية تدير امور البلاد الواقعة فيها ولقد كانت ملقا احد المراكز الاستراتيجية المهمة في بحر الصين والتي دخلها الملك راجال (Ragale) ملك جوهور Johor ودمرها في بداية عام 1587. بعدها اغلق المسارات المائية بين الهند والصين في مضيق ملقا الامر الذى ادى الى المجاعة والتشرد الى جانب الدمار السابق.

في مارس 1587 دعي نائب الملك الى اجتماع المجلس الاعلى للادارة في جوا وفرض الضرائب على مواطني جوا، وباسين وشول (Goa, Bassein, Chaul) لمساعدة المدينة المنكوبة.

وفي 28 ابريل 1587 يتوجه الاسطول البرتغالي (المكون من ست عشرة سفينة من الغلايين والسفن الاخرى وبكامل عتاده وجنوده الخمسمائة وتحت قيادة د. باولو دي ليما (D. Paulo. de Lima) ويصل الى مدينة جوهور ويحرقها ويدمرها تدميرا كاملا.

لقد كان الاسطول البرتغالي موزعا آنذاك بين هرمز وشرق افريقيا وجوا وتدعمه حاميات عسكرية يتحول بواسطتها الى اسطول حربي في وقت الحاجة ويباشر مهمات التجارة في اغلب الاوقات.



جزيرة سيلان 1580م ومناطق النفوذ للبرتغالي فيها

ولقد باشر البرتغاليون سياسة الارض المحروقة والقتل والتנקيل والاضطهاد اينما وصلوا في الشرق وطبقت هذه السياسة في هرمز ومسقط وعدن وشرق افريقيا والبحرين وجوا وملقا وفي سيلان (كولبو) عندما ثار عدوهم الاول كما يطلقون عليه (راجاسينا) (Raja sinha) ضد الوجود البرتغالي فيها وكانت هذه الثورة من اخطر التهديدات التي واجهها البرتغاليون في الشرق حيث اقتضى القضاء عليها مشاركة كل الاساطيل البرتغالية في الشرق.

ويروي لنا المترجم عن هذا العصيان وبدايته في عام 1586 عندما حاصر (راجا) قلعة كولبو ومنع عنها المؤونة فاضطرت الحامية المتمركزة في هذه القلعة الى طلب المساعدة من الهند.

ونظرا لعدم وجود سفن الاسطول المطلوبة آنذاك تأخر وصول المدد البحري حتى سبتمبر 1587 وذلك بعد الحاح من قائد حامية كولبو جو. كوريا. دي. برتو (Joao Correa De Brito)، وفي نفس الشهر قرر نائب الملك (دوم. دوارتي) ومجلسه الحاكم في غوا ارسال اسطول ضخم الى كولبو على ان يلتحق به اسطول (د. باولو دليما) (D. Pau-lo de Lima) والذي تم ابلاغه بالتوجه الفوري الى سيلان واختير لقيادة سفن الاسطول المشتركة القبطان (مانويل ديسوزا كوتينهو) (Monoel De Sausa Coutinho) والذي لقب بقبطان بحر الهند (واعطى رتبة جنرال) ومع استعدادات غوا لارسال اسطولها يصل اسطول هرمز والخاص بالفرنسيو ديملو بقيادة سيماس دي كوستا (Sima da Cost) يرافقه رحالقنا بيدرو تخسيرا والذي انتهن فرصة

توجه مانويل ديسوزا الى سيلان فالتحق به بعد حصوله على تصريح خاص لذلك من نائب الملك.

في 4 فبراير 1588 يتوجه الاسطول البرتغالي من غوا الى سيلان وفي مقدمته الغلايين البرتغالية تحت قيادة مانويل ديسوزا ودي جورنيمو دي ازفيدو (D. Jeronymo De Azevedo) ومعها ست عشرة سفينة اخرى وستمئة رجل ليصل الى جزيرة رامسفرام (Ramesvaram) ومنها الى جزيرة منار Mannar وثم في النهاية الى كاريتيفو (Karaitivu).

ومن الموقع الاخير ارسلت الرسائل لقائد حامية كولبو تطلب فيه ارسال ضابطين برتغاليين وجنود محليين الى القبطان مانويل ديسوزا والذي كان قد قرر حرق وتدمير المنطقة الواقعة بين كاريتيفو وكولبو. وصلت المجموعة المطلوبة بقيادتها البرتغالية الى الموقع المعين بعد ان دمرت كل القرى في طريقها وتم ابلاغ مانويل ديسوزا عن التحصينات الاهلية لمدينة كولبو وبلدة شيلو (Chilaw).

بعد وصول هذه الاخبار قرر مانويل ديسوزا التوجه الى بلدة شيلو والتي وصلها بعد وصول دي جورنيمو دي ازفيدو اليها وقام بتدميرها وسلبها ثم حرقها - فتابع مانويل ديسوزا ابحاره الى كولبو في 18 فبراير مطلقا مدافع سفنه الحربية ابتهاجا بالنصر ورفع الحصار عنها. بعد دخول القوات البرتغالية الى كولبو ولقائها مع الجنود والمحاصرين في قلعتها عقد مجلس الحرب اجتماعه الاول لتخطيط الاعمال الحربية المطلوبة ضد (راجا).

في هذا الاجتماع كان مانويل ديسوزا مصرا على الهجوم المباشر
رغبة منه في الحصول على الثناء والشهرة قبل وصول اسطول (دي
باولو دي ليما) المنافس له في الحصول على الشهرة.

ومع انعقاد هذا المجلس ارسل راجا سفراءه الى القادة البرتغاليين
طالباً منهم مهلة زمنية حتى يتمكن من القيام بالشعائر الدينية في
مدينته وعاصمته سيتافاكا Sitavaka واعتقد اعضاء المجلس بأنها
خدعة وتمهيد للانسحاب لذا تقرر الهجوم الفوري في ليلة 21 فبراير
ودمرت القوات البرتغالية تحصينات الملك راجا وقتلت رجاله وأحرقت
قراه - في اليوم التالي يصل اسطول دي باولو دي ليما الى كولبو
ويشارك في اعمال التدمير والتي استمرت الى بداية مارس 1588
عندما غادرت الاساطيل كولبو عائدة الى جوا.

ورغم الاحداث الجسيمة والتي يتحاشى بيدرو تخسيرا ذكرها نجده
يذكر رحلة العودة الى جوا فقط، وينقلها لنا كوتو عن الرحالة تخسيرا
قائلاً «عاد مانويل ديسوزا في اسطول صغير الى كوشين وغادرها بعد
ان ترك وراءه سفينة كبيرة بقيادة دي جورنيمو ومعه اثنتان من السفن
الصغيرة وذلك من اجل لقاء سفن الاسطول العائدة من الصين وقيادتها
الى جوا.

انتهز بيدرو تخسيرا فترة بقاءه في كوشين ليقوم بزيارة قلاع كنارا
وكننور (Canara, cananor).

في نهاية مارس يصل مانويل ديسوزا الى جوا ويدخلها دخول
الابطال حيث كان في استقباله نائب الملك ومواطنو المدينة.
بعدها بأيام يصل دي باولو دي ليما ويقوم نائب الملك ورعاياه
باستقباله استقبالا اعظم من سابقه.

في 4 مايو 1588 توفي دى. دوارتى. دى منزيس (نائب الملك) وتم دفنه في احتفال مهيب في كنيسة ريس ماجوس (Reys Magos) وتم نقل عظامه بعد ذلك الى أبرشييه (الثالوث المقدس). في سانتاريم (Santarem).

وبعد موت نائب الملك فتحت الوثيقة الخاصة بتولي السلطة والتي ذكر فيها ان الحاكم القادم يجب ان يكون ماثياس دى البوكيرك (Mathias De Albuquerque) (على ان يحكم الهند حتى فترة وصوله مانويل ديسوزا والذي عين حاكما في احتفال رسمي).

بعد عودة بيدرو تخسيرا من كوشين يبدو انه بقى في جوا سنة 1588 ولكن كعادته السابقة نجد انه وجد لنفسه سبباً آخر للسفر مرة ثانية، فقد تواردت انباء عن نية القائد البحري التركي علي بيه (والذى هاجم المواقع البرتغالية في شرق افريقيا في عام 1586) في هجوم آخر يتم الاستعداد له ومتوقع حدوثه في نهاية 1588 او بداية 1589.

وكما توقعت السلطات البرتغالية في جوا توجه القائد البحري التركي علي بيه الى الصومال وتوقف في مقديشو حيث استقبله الاهالي استقبالا رائعا واتجه منها جنوبا وزودته اهالي المدن الساحلية بالمال والزاد ليصل الى مالندى ليلا حيث كان القائد البرتغالي فيها (ماثياس منديس دى فاسكوس سنيوس - Matheus Mendes Devascon cellos) على علم بتقدم الاسطول التركي (والذى كانت بعض سفنه قد صودرت في هجوم سابق على الساحل الافريقي من البرتغاليين). قام القائد البرتغالي بنصب بعض المدافع على التلال الرملية خارج القلعة.

وإدى قصفها لسفن الاتراك انسحاب الأخيرة وتوجه علي بيه إلى مومباسا لإقامة قلاع تحصينية فيها.

في 30 يناير 1589 تبحر سفن الاسطول البرتغالي من غوا متوجهة إلى شرق إفريقيا بعد وصول أنباء عن دخول الاسطول التركي في المياه المذكورة.

وكما كان الاستعداد البرتغالي كبيراً للحملة المتوجهة إلى سيلان فإن الاسطول المتوجه إلى شرق إفريقيا (وبقيادة أخ مارتييم الفونسو)، توما ديسوزا كوتينو (Thoma de sousa) كبير أيضاً حيث شمل عشرين سفينة كبيرة وصغيرة وتسعمائة من الرجال المسلحين.

واجه هذا الاسطول عواصف قوية أدت إلى فقدان ثلاث من سفنه مع وصول السفن الباقية إلى برافا (Brava) في 20 فبراير حيث نقلت إلى قائده أخبار علي بيه فتوجه في 23 من نفس الشهر إلى أمبازا وإلى قلعتها وقابل أميرها الموالي للبرتغاليين ومنها إلى جزيرة لامو حيث تلقى أخباراً عن مغادرة علي بيه من مالندي إلى مومباسا.

في 3 مارس يصل الاسطول البرتغالي إلى مالندي محاولاً اللحاق بالاسطول التركي ومنعه من الهرب من مومباسا. ويغادرها في يوم الأحد 5 مارس متوجهاً إلى مومباسا ليواجه مقاومة بسيطة من الاسطول التركي.

في 7 مارس يدخل البرتغاليون مومباسا للمرة الثانية ومعهم ملك مالندي وأمير بمبا ليجدوا أن الاتراك قد توغلوا في الغابات هرباً منهم.

وحيث انه لم يكن التخطيط التركي جيدا فقد تمت محاصرة علي بيه وبحارته بواسطة الاسطول البرتغالي في البصر، وقبائل الزمبا (Zimba) من اليايسة وقتكت القبائل المذكورة بالجيش التركي مما اضطر قائده وبقية الجنود بأن يتوجهوا الى البحر مرة اخرى لتلقطهم السفن البرتغالية.

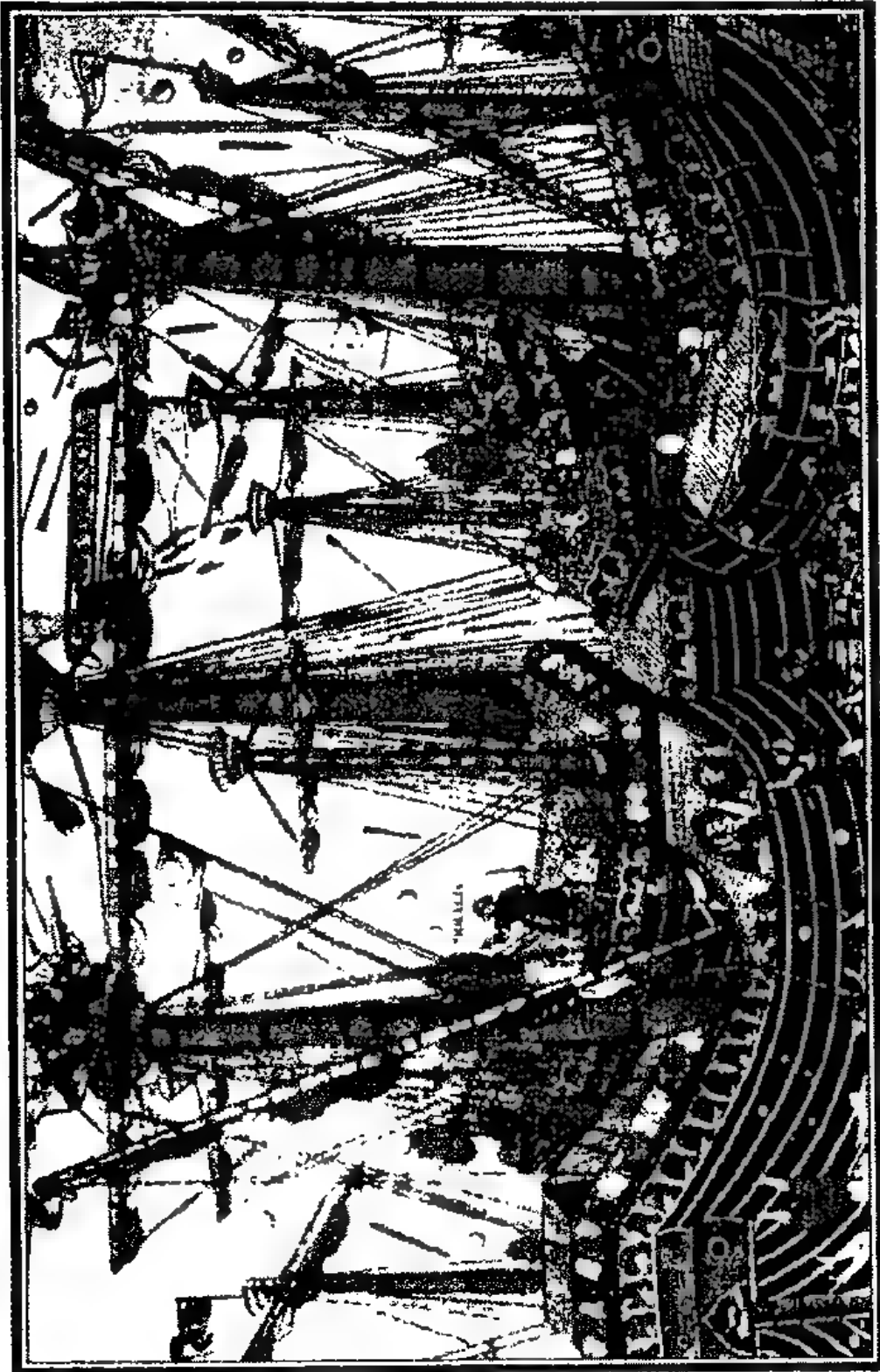
في الثاني والعشرين من شهر مارس غادر توما ديسوزا ممباسا عائدا الى مالندي يرافقه الجنود الاتراك وقائدهم علي بيه والسفن التركية.

وقبل مغادرة البحر الاحمر قام هذا القائد البرتغالي باعتقال ملك لامو وقتله في باتى (Pate) ونصب مرة اخرى ملك بمبا بعد ثورة الاهالي عليه. واخذ وعدا من امراء امبازا وملوك باتى وسيو بالولاء لاسيادهم البرتغاليين والتاج البرتغالي.

في طريق عودته توقف توما. ديسوزا في سوقطره في 28 من نفس الشهر للتزود بالماء ثم توجه بعدها الى جوا حيث وصلها في 16 مايو ودخلها في استقبال مهيب يرافقه علي بيه وبیدرو تخسيرا.

في هذه المرة يبقى بيدرو تخسيرا لمدة عامين 1590 - 1591 في مدينة كوشين (Cochin) ويذكر لنا ان وباء الموت الصيني انتشر فيها (الكوليرا الآسيوية).

في 15 مايو 1591 يصل نائب الملك الجديد (ماثياس دى البوكيرك) الى جوا على ظهر السفينة بوم جيسس (Bom. Jesus) وذلك بعد سنة من مغادرته لشبونه. وقام مانويل ديسوزا كوتينو بتسليمه سيف القيادة.



معرض بين الأسطول التركي والبرتغالي قرب سواحل شرق أفريقيا

في العاشر من يناير 1592 تبحر نفس السفينة (التي جاءت بـ اليوكيرك وعلى ظهرها الحاكم السابق مانويل ديسوزا وزوجته وكل امتعته الثمينة مع منقولات أخرى ذات اثمان باهظة) متجهة الى البرتغال ولكن وفي الطريق الى موزمبيق تحطمت واختفى من فيها وكل ما كانت تنقله الى الابد.

ولو عدنا الى مذكرات بيدرو تخسيرا نجد انه في عام 1593 عاد من الهند الى هرمز وبقي فيها حتى 1597 باذلا كل جهده في دراسة اللغة الفارسية وتاريخ فارس ومترجما بصورة ملخصة روايات ميرخواند وتوران شاه. ومقدما لنا صورة مفصلة من هرمز واحداثها ايام اقامته فيها.

يذكر المؤلف انه قام بزيارة مدينة مازاندران (شمال فارس) في عام 1597 وفي نفس العام رافق الاسطول مرة أخرى الى ملقا حيث طلب نائب الملك في الهند من الاساطيل البرتغالية مرة أخرى التوجه الى هناك استعدادا لهجوم وشيك من الهولنديين.

بعد وصوله الى ارخبيل الملايو قضى بيدرو تخسيرا كل وقته في الكتابة عن الحياة القطرية وانواع النباتات فيها، وانطلاقا من هذا الفصل في رحلاته يبدأ في اعطائنا صوراً متواصلة وكتابات دقيقة عن تنقلاته ويذكر في اول فصل من (يوميات رحلتي) انه في ملقا ويرغب في العودة الى البرتغال عن طريق جزر الفلبين ولذا انتهن فرصة مغادرة السفينة المتوجهة من ملقا الى الفلبين (حاملة الرسائل من قائد ملقا البرتغالي الى القائد الاسباني في الفلبين يخبره فيها احتمال دخول



الاسطول الهولندي يهاجم السفن البرتغالية في جزر

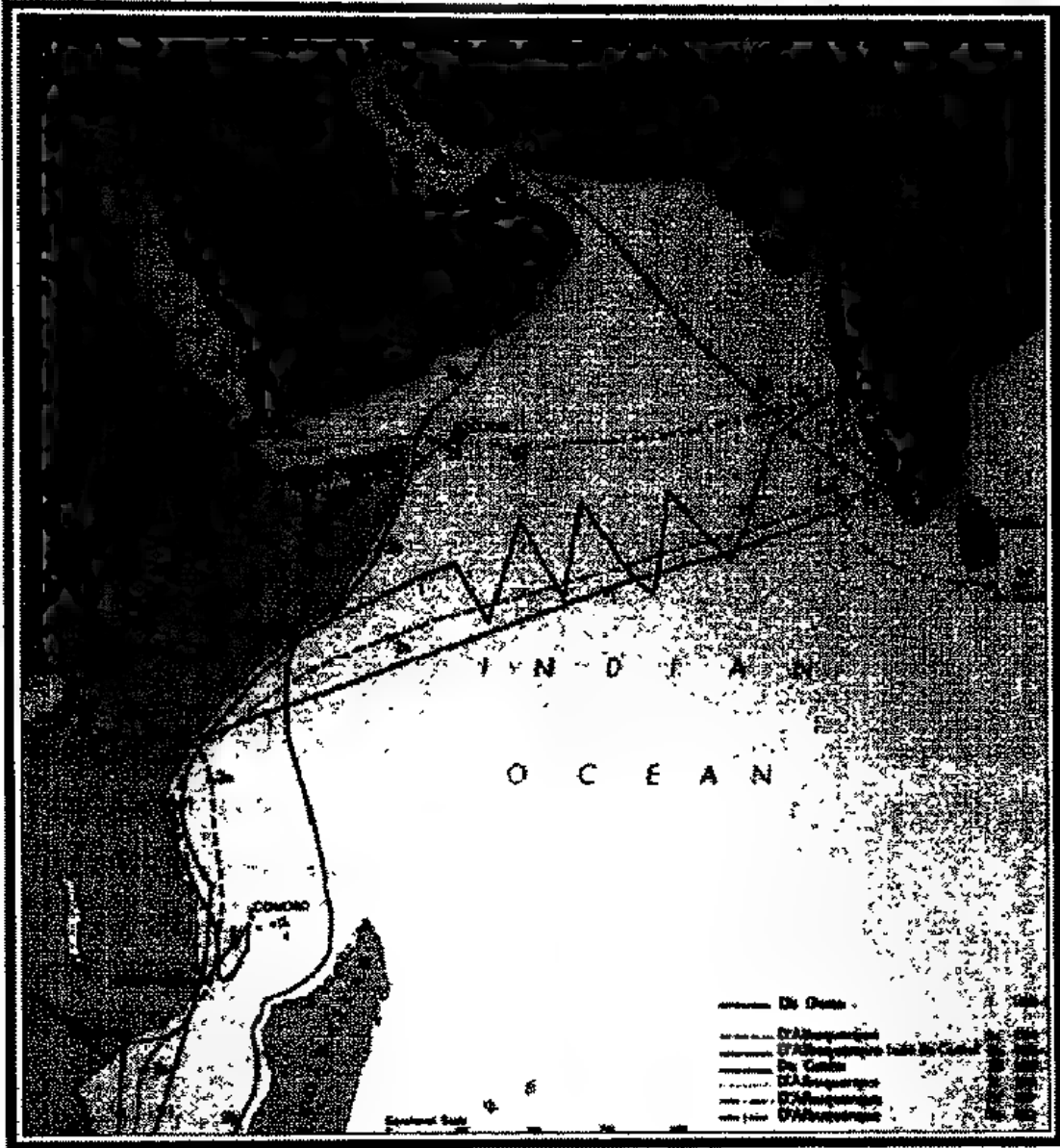
الاسطول الهولندي مياه المنطقة) يقول انه انتهز الفرصة وغادر ملقا الى الفلبين على ظهر هذه السفينة ويصل الى هناك في 22 يونيو الى ميناء مانيلا.

لم يستقر المقام برحالتنا في الفلبين فقد استطاع الحصول على تصريح من الحاكم الاسباني دوم فرنسيسكو تيلو دى منزيس (Dom Francisco Tello Demanzis) في 18 يوليو لرافقة اربع سفن جديدة متوجهة الى امريكا.

وبعد قضاء فترة قصيرة في مضيق سان برناردينو (San Bernardino) توجهت السفن في اتجاه شمال شرقي لتصل الى اكابولكو (Acapulco) في اول ديسمبر، ومنها يدخل بيدرو تخسيرا وعلى ظهر الخيول الى مدينة المكسيك ويصل اليها في منتصف ليلة اعياد الميلاد - وذلك بعد ستة اشهر من مغادرته ملقا.

وبعدها يغادر في مايو 1601 متوجها الى البرتغال مارا بسان جوان وكوبا وبرمودا وسان لوكار ثم في النهاية من 8 اكتوبر 1601 الى لشبونة.

قبل مغادرة بيدرو تخسيرا ملقا اودع مبلغا ماليا لدى احد اصحابه طالبا منه ارساله له الى لشبونة بواسطة السفن البرتغالية ولكن ولخيبة امله لم يصل المبلغ المطلوب ولذا تجده ورغم عن عدم رغبته يقرر السفر الى الشرق مرة اخرى في 28 مايو 1603 وعلى ظهر احدى سفن الاسطول المتوجهة الى الهند بقيادة بيرو. فرتادو. دى. مندوكا (Pero Fortado. de. Mendoca) ويصل الى جوا في 14 اكتوبر من نفس العام.



الطرق الملاحية للأساطيل البرتغالية

لقد نال في رحلته هذه ما اراد وقرر العودة بعد خمسة أشهر عن طريق وادي الرافدين.

في 9 فبراير 1604 يستقل بيدرو تيخسيرا سفينة برتغالية متوجهة الى الخليج تتوقف في اليوم الثاني من شهر مارس في مصيره ومن ثم تبحر حول رأس الحد الى خليج عمان وتتوقف مرة اخرى في (سيفا) وبعدها تتوجه الى هرمز بعد التزود بالماء والخشب من مسقط.

وبعد شهر من وصوله الى هرمز (في 14 ابريل) يسافر بيدرو تيخسيرا الى البصرة في سفينة صغيرة تابعة لقبطان هرمز البرتغالي مارا بالمضيق بين جزيرة قشم واليابسة ومن ثم الى الساحل الشرقي للخليج متجها في اتجاه شمال غربي متوقف بين فترة واخرى بسبب التيارات القوية.

كانت اول منطقة ترسو فيها السفينة جزيرة لار (الشيخ شعيب) والتقى هناك بسفينة اخرى قد هوجمت بواسطة اهالي بندر نخيلو. وبعد بضعة ايام تتوجه السفينة الى شيوه وتضطر للعودة الى هرمز بسبب الرياح العاتية. وفي 21 مايو 1604.. في محاولة ثانية غادر في نفس السفينة (والتي اتجه ربانها هذه المرة في مسار بحري جنوبي جزيرة قشم)، ولقد كانت هذه المحاولة ناجحة حيث وصلت السفينة الى جزيرة خرج في 25 يوليو ومن هذه الجزيرة يتسلم قيادة السفينة ربان محلي ويبحر بها الى شط العرب وبعد بعض الصعوبات تصل الى هناك في اول اغسطس من نفس العام.

يبدو ان السفينة بقيت في شط العرب خمسة ايام حيث توجهت بعد ذلك الى مدينة سراج (Serrage) حيث نقلت حمولتها الى البصرة.

وينتقل بيدرو من سراج الى البصرة عن طريق قناة مائية يرافقه تاجر فينيقي واثنان من البرتغاليين كانا معه منذ البداية في هرمز. كان لهذا التاجر الفينيقي (السوري) منزلا في البصرة قضى فيه بيدرو عدة ايام قبل التحاقه بالقافلة المتوجهة عبر الصحراء العربية يرافقه ديجو. دي. ميلو (Diego de Melo) بعد حصوله على تصريح خاص بذلك. (هذا الصديق اصبح مصدر ازعاج اثناء رحلته) كان طريق القافلة المذكورة يمر بمشهد الامام علي ومن ثم مشهد الامام الحسين (كربلاء) (حيث تزوج فيها رئيس القافلة ودعى جميع مسافريه الى حفلة الزواج).

في 29 سبتمبر توجه اغلب المسافرين من التجار الى بغداد وبقي بيدرو ومرافقه ديجو. دي. ميلو في كربلاء لعدم توافر الجمال لاكمال الرحلة - وبعد عدة ايام عبرا نهر الفرات ووصلا بغداد في اليوم الرابع من اكتوبر.

في بغداد يسكن تخسيرا في منزل صديق من هامبورج كان قد تعرف عليه في الهند كان هذا الصديق يحاول بفعله هذا رد الجميل لبيدرو حيث كان الاخير قد احسن ضيافته في الهند.

وقد تزامن ذلك مع حصار حلب آنذاك لذا اضطر رحالتنا الى البقاء في بغداد لعدة شهور.

في 12 ديسمبر ينتقل بيدرو تخسيرا (وصديقه الالماني وديجو فرناندو وديجو ديملو) من بغداد عابرين الفرات مرة اخرى ليصل الجميع الى مدينة آتا!! ومنها في 13 يناير 1605 يغادر الجميع الى حلب

راكبين الجمال. بعد مسيرة ثمانية عشر يوما تصل القافلة الى قرية (سكانه) حيث يشير ديبجو دوميلو اشكالات جديدة بسبب حماقته - ومن قرية سكانه تغادر القافلة في 9 فبراير في طريقها الى حلب متعرضة اثناء السير لقطاع الطرق الذين لم يتمكنوا من بيدرو واصحابه.. بعدها تصل القافلة في 12 فبراير الى حلب..

يقضى بيدرو تخسيرا شهريين في حلب في انتظار السفينة التي سوف تقله من الاسكندرونه الى البندقية.

في الجزء الباقي من هذه الرحلة يلتحق اثنان من التجار الفينيقيين ببيدرو وصاحبه دوميلو متوجهين جميعا الى الاسكندرونه في 5 ابريل. وبعد مسيرة ثلاثة ايام يصل الجميع مرة اخرى الى الاسكندرونه (المدينة الساحلية)، وفي الثانى عشر من ابريل يغادر بيدرو واصحابه الى البندقية تقلهم هذه المرة سفينة فينيقية.

وبعد توقف في (ساليانس) في قبرص وجزيرة زانتي تصل السفينة الى استريا في التاسع من يوليو ومنها ينتقل بيدرو وصديقيه في سفينة اخرى تتعرض للعواصف قبل وصولها الى البندقية في الحادي عشر من يوليو.

ويعلق بيدرو عن خبرته في هذه المدينة بانه «من المستحيل العمل في مكان مستحيل»، لذا يغادر بيدرو البندقية بعد زيارته لاغلب المقاطعات الايطالية والى مملكة بدمونت وجبال الالب وساقوي وفرنسا وهولندا الاسبانية مستقرا في انتورب ويعلق الدكتور كايسرلنج (Kayserling) عن استقرار بيدرو في انتورب «لقد كانت انتورب

اقدم مستعمرة هولندية للمتقيين من الاسبان / البرتغاليين وفيها استقر بيدرو تخسيرا ليبدأ طباعة كتابه - اصول وسلالات ملوك هرمز - ويكتب الاسفار من الهند الى ايطاليا - ونعتقد انه توفي (هنا وليس في فيرونا) في اواسط القرن السابع عشر باقيا على يهوديته منتقلاً مع ابيه الى عالم آخر احسن من عالمنا. لا نستطيع تأكيد هذه المعلومات المقدمة من الدكتور كايسرانج حيث لا توجد لها مصادر موثقة حتى الآن.

الفصل الثاني

وصول الانجليز

والهولنديين الى الشرق

وصول الانجليز والهولنديين الى الشرق

كانت السنوات التي قضاها بيدرو تخسيرا في رحلاته الشرقية (1586-1605) من اهم السنوات في تاريخ البرتغاليين في الشرق - ففي عام 1580 نودى بالملك فيليب الثاني (ملك الاسبان) ملكا على البرتغال ايضا وبهذا دخلت البرتغال فيما اطلق عليه - ستون سنة من السجن - والتي ادت الى فقدان البرتغال لكل مواقع نفوذها في الشرق تقريبا.

هناك حدث اخر وعلى نفس المستوى من الهمية طغى على تاريخ الاساطيل الأوروبية وهو عودة القائد البحري دريك (Drake) من جولة حول العالم ودخوله بريطانيا دخول الابطال فلقد كانت نتائج جولة دريك مؤشرا لحروب دبلوماسية انتهت بصراع بحري مرير بين اسبانيا وبريطانيا.

قبل عودة دريك الى بريطانيا كان جون نيوبري John Newbery قد توجه الى طرابلس في سوريا (في 19 سبتمبر 1580) ومنها الى وادي الفرات ثم فارس وهرمز وعاد من فارس الى ارمينيا والقسطنطينية واوروبا ليصل في النهاية الى لندن في اغسطس 1582. في بداية 1583 توجه نيوبري مرة اخرى وفي نفس الطريق الى طرابلس يرافقه هذه المرة رالف فتش (Ralph Fitch) ووليام ليدز (William Leedes) وجيمس ستوري (James Story).

وبعد مرورهم بنفس المناطق التي مر بها نيوبري يصل الانجليز الاربعة الى مملكة هرمز في 5 سبتمبر 1583.



الملك فيليب ملك أسبانيا والبرتغال

اثر وصول الاربعة قائد هرمز (ماتياس البوكيرك) فأمر باعتقالهم اعتقادا منه بانهم جواسيس لدوم انتونيو (Dom Antonio) المطالب بعرش البرتغال انذاك - وبعد فترة قضاوها في سجون هرمز نفى الجميع الى جوا حيث بقوا في سجونها الى ان استطاع الاب اليسوعي توماس ستيفنز (Thomas Stevens) من اخراجهم بكفالة - على ان يباشروا مهنة التجارة في جوا.

في 5 ابريل 1585 هرب فتش، ونيوبرى وليدز من المقاطعة البرتغالية ووصلوا بعد عدة ايام الى بلاط (المغول الاعظم) اكبر في فتح بور سيكرى - (فتح بور) هنا قام ليدز بالعمل في بلاط اكبر وبدأ نيوبرى رحلة العودة في 28 سبتمبر 1585 من لاهور الى القسطنطينية ومنها الى لندن، اما فتش فقد عبر نهر الكانج الى البنغال وثم الى شيتاكوتج وبيجو وفي النهاية الى ملقا في 8 فبراير 1588 وانتقل مرة اخرى منها الى بيجو والبنغال وكوشين وجوا وشول وهرمز والبصرة ثم الى حلب عائدا الى بريطانيا التي وصلها في 29 ابريل 1591.

لقد ذكرنا رحلة فتش بشيء من التفصيل لسببين الاول منهما انه كان في ترحاله في الشرق في نفس الفترة الزمنية التي كان بيدرو تيخسيرا متواجدا في الشرق حتى انهما كانا في جوا في نفس السنة 1589 مع علمنا الكامل بانهما لم يلتقيا فيها.

السبب الثاني هو اصراره على زيارة المناطق التابعة للنفوذ البرتغالي مثل ملقا وجوا وهرمز وبقائه في الاخيرة خمسين يوما قبل ان يتوجه الى البصرة - ولاعطاء السبب الثاني اكثر اهمية نجد انه في فبراير 25

عام 1585 يكتب ملك الاسبان من لشبونة الى نائبه في الهند (دوارتى دى منزيس) - قائلا: «اخبرنى نائب الملك (دى فرنسيسكو ماسكريناس) (D. Francisco - Mascarenhas) بان قائد قلعة هرمز ماثياس البوكيرك ارسل له اربعة من السجناء الانجليز واثاروا الشكوك في انهم مرسلين من قبل دوم انتونيو ويحملون رسائل منه ولكنهم يدعون انهم من التجار، لقد قام قائد قلعة هرمز بايداعهم السجن الى ان نقرر شأنهم، اننى اعتمد عليك في معاقبتهم بما تراه مناسباً اذا ثبت جرمهم وذلك بعد استقصاء الحقائق بصورة خاصة على ان تتخذ الاجراءات اللازمة لمنع حدوث مثل هذا في المستقبل وعدم السماح لامثالهم بالدخول الى ممتلكاتنا وخاصة هرمز والتي نعتبرها المنفذ الذى يمر منه امثالهم وسوف تخبرني بما قمت به».

ان اهمية السبب الثاني تبدو لنا اكثر جاذبية الآن وخاصة لو عرفنا ان هرب هؤلاء السجناء من السجون البرتغالية في جوا بعد شهرين من وصول نائب الملك الذى كتب له الملك فيليب توجيهاته ولذا نجد استياء الملك من هذا الحادث واضحاً في رسالته المرسلة الى نائب الملك من لشبونة في فبراير 13 عام 1587 - «اننى مستاء جداً لهرب الانجليز الذين اخبرني عنهم ماثياس البوكيرك وقام بارسالهم من قلعة هرمز الى سجون جوا في عهد فرنسيسكو ماسكاريناس والذين بعد هروبهم توفى اثنان منهم وبقي اخران في مناطق اخرى ● اننى اطلب منك البحث عنهم والقاء القبض عليهم وان تأمن وتشدد حمايتهم وان تحقق في ملابسات هربهم وان تجد الاشخاص المشتركين معهم وتخبرني بقرارك».

بعد عامين من الرسالتين المذكورتين يكتب الملك رسالة ثالثة في 20 فبراير 1589 الى نائب الملك.

«ان ما ذكرته لى عن توقعاتكم بوصول دوم انتونيو حاكم كراتو سابقا واحتمال وصوله الى طرفكم والاستعدادات التى قمت بها قبل حلول الشتاء لحماية مضيق ملقا - صار معلوما اما بخصوص الانجليز الاربعة والذين توجهوا الى الهند في عهد الكونت دوم فرنسيسكو ماسكاريناس والذين اكتشفتم انهم من التجار وقد توفى ثلاثة منهم وبقي الرابع في جوا وتزوج بها ومارس مهنة الرسم، فانى اطلب منكم التأكد مرة اخرى عن القصد من زيارتهم».

ويذكر الملك اسماء هؤلاء الانجليز في آخر رسالة له بتاريخ 18 يناير 1591 مرسله الى نائبه يقول: «بالنسبة للانجليز الثلاثة والذين هربوا الى الهند واثنان منهم في عداد الموتى، اود ان اخبركم بان تطلبوا من الانجليزي الرابع والذي يمارس مهنة الرسم في جوا الآن، مغادرة المناطق التابعة لي والعودة الى بلاده في اول سفينة متجهة الى هناك.

اننا نذكر هذه الرسائل والاوامر الصادرة من الملك بشيء من الغرابة حيث انه وبرغم انذارات الملك الى نوابه نجد ان فتش يقضي فترة في ملقا 1588 ويعود الى كوشين (1589) ويبقى فيها ثمانية اشهر دون ان يتعرض له احد من البرتغاليين ومن ثم وصوله الى هرمز ومغادرته منها الى لندن دون اعتقال او تحقيق.

وربما يرتبط هذا كله بتصرفات شخصية اخرى ذات اهمية كبرى في وصول الانجليز والهولنديين الى الشرق حيث انه وبعد شهرين من

مغادرة رالف فنتش واصدقائه لندن، يتوجه في 8 ابريل 1583 رجل هولندي يدعى جان هيو لينشوتن (Jan Huyghen Linschoten) من لشبونة الى الهند.

لقد كتب هذا الهولندي الكتاب المشهور (المسمى ايتنراريو او المذكرات الخاصة) والتي نعتقد ان بيدرو تخسيرا قد قرأه قبل كتابة كتابه ومع تواجد الاثنين في جوا في عام 1588 فإنهما لم يلتقيا ولكن نكاد نجزم في انه لو لم يكتب الهولندي كتابه لكتب تخسيرا كتابا مماثلا لذلك. ورغم ان الهولندي غادر كوتشن عدة اشهر قبل وصول فنتش من البنغال الا ان الاول لم يصل الى لشبونة الا بعد ثلاث سنوات في 2 يناير 1592.

ووصل فنتش الى لندن في ابريل 29 - 1591 اي قبل وصول الهولندي الى لشبونة وقبل ثلاثة اسابيع من مغادرة اول اسطول انجليزي الى الشرق تحت قيادة القبطان ريموند (Raymond) والذي استطاعت سفينة واحدة (Edward Bonaventure) من الثلاث اكمال الرحلة تحت قيادة القبطان جيمس لانكستر (James Lancas-ter).

اننا نعتقد ان قرار الانجليز بارسال اسطولهم الى الشرق هو الذي اثار موضوع كتابة الرسائل من ملك الاسبان لنائبه في الهند في مارس 26 عام 1591 قائلا: «لقد بلغت قبل عدة ايام ان هناك استعدادا في انجلترا لارسال السفن الى جزيرة سانتا هيلانا (santa Ylena) لانتظار السفن القادمة اليها، لذا ننصح السفن المتوجهة في ذلك الاتجاه ان تحمل

ما يكفيها من الماء وعدم التوقف في هذه الجزيرة وإذا ما اضطروا في التوقف فليكن في (انغولا) وعلى جميع السفن الانتظار في كورفو في بحر الازور حتى يتمكن الاسطول من مرافقتهم في رحلة العودة الى لشبونة».

ولدينا اليوم وثيقتان برتغاليتان عن رحلة لانكستر الاولى منها كتبت بعد سنتين من بدء رحلته الى الشرق ويقول فيها الملك: «صديقي نائب الملك، انا الملك ارسل لك تحياتي، لقد كتب لي لويس فرنانديس دوارتي (Luis Fernandes Duarte) (والذي في بلاط الملك شريف في مراكش) انه يوجد في مراكش رجل انجليزي يتحدث عن مناطق تجارية بعيدة مثل سومطره وبيجو والتي لا توجد لنا قلاع فيها وانصح ان نباشر العمل في ذلك - وان نقوم بالتبادل التجاري مع اهالي هذه المناطق.

ان هذا الانجليزي يحاول الحصول على المساعدة من اهل مراكش وعلى المعلومات التي سوف تساعد على الوصول الى هذه المناطق ومع وجود الشك في تمكنه من ذلك ارجو منك ان تمنع اي انجليزي من وضع قدمه في هذه المناطق من اجل التجارة وان ترتبط بملوك هذه المناطق بمعاهدات صداقة مع دولتنا او مع الدول الحليفة لنا والقريبة منهم».

كتب في لشبونة 6 اغسطس 1598.

استطراء:

وعليك ان تعلم ان الانجليزي المذكور قد ذكر لنا انه ومنذ سنتين غادرت انجلترا سفن تحت قيادة القبطان تمبرتو (Timbortoe) والذي

وصل الى هناك واستولى على اثنتين من الغلايين لذا انك ترى الآن اهمية ما ذكرته لك وسوف تنفذ ذلك ●».

في الوثيقة الثانية والمرسلة في اول مارس يذكر الملك لنائبه في الهند التالي:

«لقد اخبرتني بان السفن الانجليزية قد وصلت الى قيتانجون وعلى بعد ستة فراسخ من موزامبيق وان الدوم جيرونيمو د. ازقادو منعهم من التزود بالماء، اننى اهنئ الدوم على فعله هذا وعلمت منكم حالة التوتر التي سببتها هذه السفينة والخوف من وصول غيرها ارجو منك مراقبة الامور بدقة ومنع مثل هذه السفن من الوصول الى هذه المواقع ومحاربتها واجعل منهم عبرة للآخرين حتى لا يجروا احد غيرهم على ذلك وأعلم انك سوف تقوم بذلك».

لم تكن رحلة لانكستر موفقة كما ارادتها بريطانيا وبناء على نتائجها قرر الانجليز التريث قبل ارساله اساطيل اخرى الى الشرق.

ولكن يبدو ان بلادا اخرى اخذت الفكرة وارسلت سفنها الاربعة الهولندية في 2 ابريل 1595 تحت قيادة كورنيلوس د. هوتمان (Cornelis de Houtman) متجهة الى اربيل الشرق حاملة معها دليل البحر للهولندي لينخوتن (والذي طبع في نفس العام في هولندا) - ومثل المحاولات البريطانية انتهت هذه البعثة بكارثة تذكرها رسالة الملك في يناير 3- / 1598 الى نائبه في الهند.

● يذكر السفير القينيقي في البلاط البرتغالي ان السفن الانجليزية هاجمت اربع سفن لشركة الهند الشرقية واستطاعت ان تستولي على اثنتين وقامت باغراقهما..

● احد الذين لا يزالون احياء هو ستوري والذي بقى في جوا وعمل بالرسم اما الثاني فهو

لييز

«اننى قد وصلتني الاخبار من الهند والتي تذكر وصول سفراء ملك هولندا الملك اشن (Achin) الى نائب الملك ماثياس البوكيرك محاولين عقد معاهدات صداقة وامور اخرى، لقد علمت انهم غادروا الهند خائبين ورغم ان هذا الملك (اي ملك هولندا) قام بنقل اسقف الصين والبحارة البرتغاليين الذين تحطمت سفينتهم وذلك رغبة منه في الصداقة والمودة معنا - مع ذلك انا في انتظار رسائل ماثياس البوكيرك ومنك ايضا واطلب منكم ذلك. لقد ارسلت لكم رسائل مماثلة عن طريق البر بعد وصول السفن الاربع والتابعة لاسفار العام المنصرم وقد اخبرتم في هذه الرسائل عن كل شيء وكيف قام نفس الهولنديين بالتعرض للسفن المذكورة في جزيرة سانتا هيلانا هذه السفن كانت تحمل الفلفل والاعشاب من سومطره وجاوة اننى اعلم ان هولندا سوف ترسل سفنا اخرى الى هذه المناطق وان ملك هولندا والذي اثاره فشل مهمة سفرائه سوف يحاول مرة اخرى، لذا اطلب منكم ارسال الاسطول الى بحر ملقا ليكون مستعدا لمثل هذه السفن لكي يمنعها من دخول موانئه وان تحاربهم بكل ما يتطلب ذلك من قوة وعتاد وان لا تمد يد الصداقة لهم».

وفي رسالة اخرى في 26 يناير 1598 مرة اخرى يشير الملك الى سفراء الملك اشن (ملك هولندا) ويكتب الى نائبه ان يبدي الود لهؤلاء السفراء الآن حيث انه (اي ملك اسبانيا) لا يستطيع ان يعادى ملك هولندا - وخاصة ان سفن هولندا تجوب الآن البحار التي يسيطر عليها البرتغاليون فيقول: «انك تذكر ان سفراء ملك هولندا عادوا في السابق خائبين من جوا بعد ان فشلوا في الحصول على مطالبهم في عهد نائب الملك ماثياس البوكيرك اننى سوف ارسل له (اي ملك هولندا) واخبره انه

يستطيع ارسال سفنه الآن وانهم يستطيعون التعامل في التجارة مع جزيرة سومطره ولك انت والمجلس الحاكم القرار».

في مارس 1598/10 يكتب الملك مرة اخرى الى نائبة في الهند.
«انه في السابق كان المطلوب من سفننا الانتظار في سانتا هيلانا لفترة من الزمن لا تتعدى العشرين من شهر مايو ولقد تبين لنا الان ان الفترة المذكورة ممكن امتدادها الى نهاية شهر مايو السبب في ذلك ان احد سفننا اضطرت لمواجهة السفن الهولندية هناك بسبب تأخرها ووصولها وحيدة الى سانتا هيلانا، المطلوب الآن الحذر الشديد عند التوجه الى سانتا هيلانا حتى لا تفاجئهم السفن الهولندية» يزداد الوضع تازما بين هولندا واسبانيا مرة اخرى لذا نجد بعد اسبوع من الرسالة السابقة يوجه الملك رسالة اخرى الى نائبة في الهند قائلا:

«الكونت والقائد البحري صديقي نائب الملك والانسان المحب لدي يعد ان كتبت لك سابقا عن هذا الموضوع (بخصوص الهولنديين) واسفارهم الى الجنوب. اننى متأكد انك اتخذت الخطوات اللازمة لابطالهم من بحر ملقا وانه اصبح الآن ضروريا ان ترسل سفينة او اثنتين الى هناك (بدل ان تأخذ اثنتين من خمس سوف تتوجه اليكم هذا العام) وسوف يتوجه اليكم كوزموس دى لافيتا (Cosmos. de. Lafeta) والذي سوف يكون مسئول عن السفن المرسلة الى ملقا لقطع الطريق على الهولنديين وانه يبدو لنا ان انجاز هذا الامر سوف يكون اسرع بارسال سفينة من جوا الى ملقا بدل الانتظار لكي تنفذوا هذه الاوامر المرسلة لكم والتي اهم شئ فيها تحقيق رغبتى وعدم الاهتمام باي شئ آخر والوصول الى هدف تحطيم هذا التدخل وصيانة كرامة سفننا».

وقعت هذه الرسالة بواسطة الامير في 17 مارس 1598 وذلك لشدة مرض الملك والذي توفي في 18 سبتمبر نفس العام. وعندما كانت السفن البرتغالية جاهزة للتوجه الى الهند حاملة الرسائل الملكية المغلقة الى نائب الملك (في 5 ابريل 1598) ارسل سكرتير الملك الملحق التالي مع هذه السفن وبامر من حاكم البرتغال. «وفي يوم مغادرة السفن وصلتنا رسالة من جزيرة مدييره (Madeira) تخبرنا عن توجه الاسطول الهولندي الى الجنوب لذا وجب عليك حسب تعليمات الحاكم ان تقوم يا صاحب السعادة بالاحتياط اللازم في خليج انتاوا في جزيرة ساو لورنسو (-Sao Lourenco) - وعليك بمعاينة البرتغاليين الذين تسببوا في حوادث (جزيرة جاوه الكبيرة) وخاصة اصحاب الاسماء المذكورة في نهاية الفقرة ومرفق مع هذه الاوامر اوامر اخرى سوف يقوم بتنفيذها كوزموى لافيتا.

كتبت بواسطة سكرتير

حاكم البرتغال

Diogo. Velho دويجو فيلو

لقد كانت الرسالة التي وصلت من جزيرة مَديره (Madeira) تحمل المعلومات الآتية:

ملخص لرحلة السفن الهولندية:

«خليج انتاوجل الواقع قرب جزيرة ساو. لورينسو والذي يقع على موقع 16 درجة شرق الجزيرة المذكورة وهو خليج متسع وتقع فيه عدة جزر صغيرة وواحدة من هذه الجزر عالية جدا ويوجد خلفها موقع يناسب لرسو السفن وهذه الجزيرة المذكورة مسكونة وتنتج كمية كبيرة من الفواكه مثل البرتقال والحمضيات وتحتوى على عدد كبير من الحيوانات مثل الابقار والاغنام وبها مائتان من المنازل.

في خارج هذا الخليج تقع جزيرة سانتا ماريا (Santa Maria) والتي وجد فيها الهولنديون الفواكه والسمك.

ولقد واجههم تيار مائي قوي في المضيق الواقع بين جزيرة جاوه الصغيرة وجزيرة بالي منعهم من التوقف، لذا توجهوا من جزيرة بالي الى الغرب والجنوب الغربي حتى وصلوا الى بنتاو (Bantao) في جزيرة جاوه الكبيرة حيث نقلوا الى سفنهم البضائع.

لقد قابل الهولنديون الكثير من البرتغاليين في جزيرة جاوه الكبيرة والذين قاموا بالترحيب والاحتفاء بهم وزودوهم بالمعلومات وبالاشرار التجارية وخاصة عن الفلفل الاسود وما قد يعود عليهم من المال اذا هم تاجروا به.

ونذكر من البرتغاليين بيدرو دى أتيد (Pedro de attide) من ملقا

والذى اخبرهم بما يحاك لهم في السر من قبل البرتغاليين وحذرهم من المخاطر التى تنتظرهم من اهل جاوه اذا ما نفذوا تهديدهم ولذلك نجد انه وبمساعدة هذا البرتغالي وغيره عادت السفن الهولندية من هناك سالمة».

لقد كان فشل البعثة الانجليزية الاولى هو السبب الرئيسى وراء البعثة المكلفة من قبل الملكة اليزابيث والتى تكونت من ثلاث سفن تحت قيادة السير روبرت دودلي في عام 1596 (sir robert Dudley) والذى كان يحمل رسالة الى امبراطور الصين. لقد كانت السفن البريطانية الثلاث - بير (Bear) وبيرولب (Bearwhelp) وبنجامين (Benjamin) هي ثالث مجموعة من السفن البريطانية تحاول ان تجد طريقها الى الشرق ولكنها لم تفلت من العين الراصدة للاسطول البرتغالي في مياه الهند لذا نجد ان الغرفة التجارية في جوا تكتب الى الملك (في ديسمبر 1597) التالي:

«لقد قضى الكونت نائب الملك الشتاء في مومباسا ولقد وجد حالة الاستعداد البحري مزرية جدا ولذا اخذ في الاصلاحات البحرية وطلب بناء السفن الخفيفة والسريعة، ولقد ابغىه قبطان قلعة موزمبيق بأنه شاهد في يوليو الماضي سفينتين انجليزيتين في البحر المقابل لقلعة موزمبيق مما دعى الكونت ونائب الملك ان يسرع في انزال الاسطول الى البحر اضافة الى شراء سفينة كبيرة بمبلغ ستة عشر الف بارديس (Par-daos) وسفينتين ملكيتين كبار وتسعة سفن صغيرة قام ايضا بشرائها لعدم تواجد سفن تابعة لصاحب الجلالة انذاك في حضائر السفن في

جوا ولقد تم اعداد ستمائة مسلح تحت قيادة لورينسو دي برتو وتوجه الجميع في 20 سبتمبر الى ملقا لاعتقادهم ان العدو قد توجه الى هناك وسوف يتمكن منه اسطولنا.. نود ان نبلغ جلالتك ان تصرفات نائب الملك كانت عظيمة وخاصة اذا علمنا انه في السنوات الماضية قامت السفن الانجليزية في البحار الجنوبية باحتجاز سفينتين تابعتين لنا كانتا متوجهتين الى البنغال ولم نسمع عنهما شيئا، لذا نطلب منكم يا صاحب الجلالة امدادنا بالمال والرجال والعتاد وباسرع وقت ممكن... ويكتب الاب جودو سانتوس (Joados Santes) من موزمبيق مؤرخا هذا الحدث في كتابه اثيوبيا الشرق.

«عندما وصلنا الى موزبيق، كان القلق مسيطرا على اهل البلاد وكانوا في خوف عظيم من وصول الاسطول الانجليزي وذلك بسبب المعلومات الواردة عن طريق البر من البرتغال الى الهند والتي قام حاكم الهند مانويل ديسوزا بابلاغها الى القلاع البرتغالية.

لقد انتقل اهالي البلاد بمتاعهم ومحاصيلهم الى القلعة التي اصبحت مزدحمة - زيادة على دعوة قائد الحامية دوم هورنيمو دي ازفادو (Dom Hieronymo de Azevdo) لقائد ملندي براس دي اجويار Bras d Aguiar بالانسحاب من قلعته والالتحاق به في موزمبيق.

لقد وصل الاخير في سفينتين مع رجاله وبارجتين محملتين بالموث ورغم كل التوقعات والا استعدادات لم يصل الانجليز الى موزمبيق الا بعد سنتين وفي سفينتين فقط (في 18 يونيو 1597) توجهتا الى البحر الجنوبي (الى ملقا) علما بانه في عام 1591 اي قبل ستة سنوات

زارت موزمبيق سفينة انجليزية واحدة فقط وكانت اول سفينة انجليزية تتوجه الى الهند منذ عهد فرنسيس دريك (Francis Drake) هذه السفينة المذكورة توقفت في تيتانجون (مورد مائي مشهور) وتزودت بالماء في 27 اكتوبر وتوجهت بعد ذلك على ملقا.

اما كوتو (Couto) فهو يذكر هذه الاحداث بعد وصوله الى جوا من موزمبيق في 19 اغسطس 1597.

ولقد نقل قبطان هذه السفينة رسالة من قبطان القلعة في موزمبيق والتي يذكر فيها ان سفينتين هولنديتين (انجليزيتين) وصلت الى ميناء تيتانجون على بعد خمسة فراسخ من موزمبيق وتزودتا بالماء وبدى له انهما متوجهتان الى سوندا Sunda لقد قلق الكونت وأهل المدينة لمثل هذه الاخبار وطلب الحاكم (حاكم جوا) انعقاد المجلس ودعى اليه الضباط والاسقف الأب اليكسيو دي منزيس Alexio de Menezes وكل الضباط المتقاعدين واطلعهم على هذه الرسالة واخبرهم بخطورة الامر فيما لو وصلت هذه السفن الى ملقا وخاصة انهم ربما يثيرون البلاد المجاورة ضد قلعة ملقا ويتعرضون لتجارة الصين واليابان ويحصلون على ما يقارب مليونين من الجنيهات الذهبية (حجم التجارة بين الصين واليابان والهند) ولقد اخبر الكونت المجلس انه على استعداد لتنفيذ قراراته (المجلس) لانه لديه ما فيه الكفاية من الغلايين (سفن برتغالية كبيرة) والرجال والعقاد وسوف يدافع عن حق الملك وانه قد جاء الى الهند للدفاع عنها وليس للراحة وطلب من اعضاء المجلس اعطائه رأيهم كتابيا بما يرضى الله والملك، في اليوم التالي جاء الجميع

واعطوه آراءهم مكتوبة واتفقوا على ارسال سفينتين كبيرتين وثلاث عشرة سفينة اخرى صغيرة وخمسمائة من الرجال المسلحين وكان ذلك في اعتقادهم يكفي للبحث عن هذه السفن (الانجليزية) (الهولندية) وتأمين المسارات البحرية للصين واليابان.

وبعد الاتفاق توجه القائد البحري العام الكونت نائب الملك الى حوض السفن الخاص بالاسطول ونظرا لعدم وجود المشرف المسئول (وذلك لان المسئول والذي عين في عهد ماثياس البوكيرك فيسينسيو دي بوني Vicencio de Bane قد توجه الى البرتغال في يناير 1597 وكان الكونت غير راغب في تعيين احد في هذا المنصب لانه اراد الاحتفاظ به لنفسه ولكن وفي هذه الظروف قام بتعيين دي فرنسيسكو دي نورونها D. Francisco de Noronha مستولا طالما بقيت مسئولية الاسطول المذكور له وعين اخاه دي لويس دا جاما da Gama D. luiz مستولا عن مخازن السلاح والذخيرة وعين د. أنتونيو د. ليما D. Antonio de lima مستولا عن مخازن المؤن وطلب من ضباط الجمارك مساعدته وطاعة اوامره.

وعين لورينسودي برتو قائدا عاما للاسطول المزمع ارساله الى ملقا ولم يستقر نائب الملك حتى اكمل كل التجهيزات اللازمة ودفع ثلاثة ارباع اجر كل جندي وعامل على هذا الاسطول ونتيجة للسرعة التي لازمت الاستعدادات جهز الاسطول المذكور فاستقل القائد العام سفينته الكبرى والسفينة الاخرى القبطان بيريرا كوتينو pereira cotinho واما الباقي فواحد للقبطان د. لويس دي نورونا ابن كوند دالينارس

Conde delin hares والذي جاء من البرتغال في عام 1595 حاملا معه لقب القائد البحري والسفينة الاخرى بقيادة جورينمو دي نورونها ابن دي انتونيو دي منزيس D. Antonio de menzes وهذا بالاضافة الى سفينة اخرى في انتظار الاسطول في ملقا مع قبطانها روى دياس دا اجواير Ruy dias de Ajuar. اما السفن الصغرى وعددها تسعة بقيادة القبطان دي فرنسيسكو هرنيسكو D. Fran cis-co - Herniges وهو قبطان قلعة ملقا والقبطان استيفادو تخسيرا دي ما سيدو Estevado Teixeira de Macedo وهو قبطان قلعة موزمبيق والفونسو دي منزيس ابن فرنسيسكو دي سيلفادي منزيس، ونيكولاو بيريرا دي ميرندا ابن هنريك هنريكوس دي ميرندا ولويس لوبيز ديسوزا، وجيرونيمو بوثيلو، جورج دي ليما بارتو، ديجولوبو ابن دي رودريجو لوبو وجو. د. سيخاس.

غادر الاسطول جوا في يوم الاحد الرابع والعشرين من سبتمبر، اما عن السفن الهولندية (الانجليزية) فانها وبعد تزودها بالماء في تيتانجون توجهت الى قبالة جوا ومنها الى ملبار الى رأس كومريم وهناك احتجزوا السفن التجارية المتوجهة من جوا الى البنغال والتي كانت محملة بالارز وبعد معركة معها صادروا حمولتها وسرقوا مبالغ كبيرة من المال ولكنهم اطلقوا سراح بحارتها وارسلوهم الى ملقا.

ويذكر كوتو Couto عن الاسطول البرتغالي (والمرسل لتعقب اسطول الهولنديين) بان هذا الاسطول اي البرتغالي وصل الى ملقا في 24 سبتمبر 1597 ماعدا سفينة واحدة بقيادة لويس - لوبيز ديسوزا

والتي تحطمت قرب منار ولكن التحق قبطانها والجنود بسفينة أخرى نقلتهم الى الاسطول البرتغالي في ملقا وبلغت انباء السفن البرتغالية الى القبطان البحري لورينسو دي برتو في ملقا واخبر بانها متواجدة في رأس كوميريم، قام القبطان البحري بدعوه مجلسه الحربي للانعقاد فقرر المجلس بكل اعضائه بانه يتحتم على القبطان البحري التوجه بكامل اسطوله الى سوندا وساحل جزيرة جاوه لتأديب السكان المحليين الذين ثاروا على الوجود البرتغال المسيحي فيهما وسرقوا الممتلكات.

هذا الى جانب دعوة ملوكهم الى عدم الاتصال باية قوة اوروبية أخرى اذا ما دخلت سفنها الى موانئهم، ومن ضمن التوجيهات الى القائد البرتغالي بانه يتحتم عليه القاء القبض على اثنين من الانجليز في جزيرة بالي (الحقيقة ان الكاتب هنا يخطئ ويسمى الهولنديين انجليز) حيث يؤكد المترجم بان المذكورين هما هولنديان تخلفا عن اسطول هولندا الذي قاده هوتمان (Houtman) الى تلك الاراضي في 1597 ولم يلحقا بالاسطول عند مغادرته جزيرة بالي وبقيتا فيها بين الوثنيين».

عندما غادر الاسطول بأمر نائب الملك طلب منهم الاخير عدم التعرض لاية سفينة متجهة الى سوندا وجاوه ورغم ذلك قام القائد العام للاسطول بمصادرة اغلب محتويات السفن التي صادفها في طريقه، فسبقت هذه السفن الى المكانين المذكورين واخبرت الاهالي بما حصل لها فاستعد الناس لوصول اسطول البرتغال.

عند وصول الاسطول الى سوندا ارسل القائد سفنه الصغيرة للتزود بالماء ولكن منعهم الاهالي من ذلك فنزل كثير من بحارة الاسطول

وضباطه الى الساحل فقام الاهالي بمحاصرتهم وقتلوا الكثير منهم بما في ذلك القادة الثلاثة.. د. لويز، ود. جورينمو د. نورونها وروي دياز اجويار، ولم تستطع سفن الاسطول التدخل لصعوبة مناورتها نتيجة الحمولة الكبيرة (والتي صودرت من السفن التابعة لهذه المناطق) وتواجد البحارة على الساحل.. ولم يتمكن القائد الاعلى من النزول لانقاذهم وذلك لصعوبة البحر وهيجانه حول الجزيرة.

وبدخول موسم الامطار «المانسون» لم يتمكن القائد البحري لروينسو د. بريكو من الانتقام من الاهالي او الحصول على الهولنديين فغادر الميناء الى ملقا ووصلها في 10 يوليو 1598 وبقي فيها الى يناير من العام التالي وتوجه بعدها الى جوا، وقبل مغادرته حاول البحث عن (الانجليزين) (الهولنديين) المذكورين ووصلته انباء انهما قد تسلقا سفينة راسية في ميناء كويدا على بعد ستة فراسخ من ملقا ولكنه لم يتوجه لا اعتقالهم رغم مطالبة قائد حامية ملقا والضباط المرافقين له بذلك.

عندها ارسل نائب الملك يأمره بالتوجه الى جوا وبمجرد وصوله اليها اخبره سكرتير نائب الملك بأنه عليه التوجه الى منزله للاقامة الجبرية حتى يتم التحقيق في بعض المخالفات التي ارتكبها.

قرر نائب الملك دعوة المجلس الحاكم للنظر في القضية واصدار الحكم فيها ولم يقبل أعضاء المجلس بذلك ولاسباب خاصة قرروا احوالها الى المحاكم العادية مثل اية قضية اخرى ونتيجة لذلك حكمت المحكمة على القائد المذكور بغرامة مالية كبيرة وتعيينه قائدا الى حامية (سفاله).

يقول كوتو «ان نائب الملك ارسل لورينسو دي برتو قائدا لحامية سفاله وذلك بعد اعادة الاعتبار له وتبرأته من التهم الموجهة اليه وبعد ثلاثة اعوام عين قائدا لحاميه موزامبيق حيث قاد في 1609 حملة تاديبية ضد عدد كبير من (الكفرة) وخسر فيها المعركة وكانت خسائره البشرية كبيرة جدا مما ادى الى تجريده من اوسمته ورتبته العسكرية. يبدو ان (الكفرة) مسمى محلي للسكان وربما كانت هذه التسمية مأخوذة من العرب المقيمين هناك للسكان الاصليين.

ورغم فشل اسطول لرويسنو برتو في تحقيق مطالب نائب الملك استطاع اسطول برتغالي اخر تحقيق ذلك دون ان تكون مسئوليته القيام بهذا العمل.

فقد كتب كوتو مرة اخرى «بينما كان لروينسو برتو في سوندا لم يكن اولئك الذين في «ملقا» يدركون قرب الاسطول الهولندي (الانجليزي) منهم وبينما كان الاسطول البرتغالي المتوجه الى الهند من ملقا يستعد للابحار (كان هذا الاسطول مكونا من سفينة ماجويل دي كونها والذي كان سينقل الضابط المسئول عن حاميه ملقا لانتهاء فترة عمله والذي كان يدعي فرنسيسكو داسلفا دي منزيس وكان في نفس الوقت قائدا لهذه السفن وهي في طريقها الى جوا وكانت هناك سفينة اخرى من الصين وقبطانها فيرناو دي الميدا وعدة سفن اخرى،

قبل مغادرة هذا الاسطول ملقا توجه القبطان جو جومس فايو (قبل الاسطول بيوم واحد) الى الهند. وفي اليوم التاسع وعلى بعد ثلاثين فرسخا من ملقا وقرب جزيرة بولو بار سيلار شاهد اثنتين من السفن

الهولندية (انجليزية) فعاود ادراجه متوجها الى ملقا مرة اخرى ومرسلا (بلم) في المقدمة لينذر الاسطول المتواجد فيها بأقتراب اسطول العدو ويخبر فرانسيسكو داسيلفادي منزيس عن هذا الاسطول، بوصول هذه النبا قام القائد المذكور بجمع كل الضباط المتواجدين لاستشارتهم وقرروا عدم التوجه الى الهند بل الصمود ومحاربة سفن العدو.

عادت السفن البرتغالية الى ملقا وكانت في مقدمتها سفينة (جوجومس فايو).

وما ان شاهدت سفن العدو السفن البرتغالية حتى رفعت الاعلام الملونة والبيضاء بدعوى انها سفن تجارية قادمة الى الميناء ورست هذه السفن قرب سفينة جوجومس فايو وماهي ساعات الا وقد اشتعلت حرب المدفعية بين الاسطول البرتغالي والسفن الاخرى وفقد فيها اسطول العدو العتاد واصيبت سفنه باصابات بليغة، ومن الجانب البرتغالي قتل ابنة فرنسيسكو داسيلفا دي منزيس وخادمتها بقذيفة مدفع ومع انفجار مخزن البارود لقائد الاسطول المعادي اضطر قائده الى الانسحاب من ميدان المعركة فارسل الاسطول البرتغالي رسله الى ملقا لاختبار حاميتها بالاحداث ونتائجها وتوجه بعد ذلك الى كوشين..

ارسل قائد حامية ملقا سفنه للبحث عن اسطول العدو وتم رصده في ميناء كويدا وقد اصيبت سفنه وقتل الكثير من بحارته وجرح عدد كبير من الباقين وغادر بحارة الاسطول الانجليزي ميناء كويده (اوكد) في سفينة القائد متوجهين الى السنغال.

الهولنديون في الشرق :

في عام 1598 توجه اول اسطول هولندي الى الشرق وكانت سفينتا القيادة (الاسد واللبؤة) تحت قيادة المربع كورنيلوس دي هوثمان Cornelis de Hout man والريان الرئيسي رجل انجليزي يدعى جون ديفس John Davis والذي يعتبر الوحيد الذي كتب عن هذه الرحلة والتي هلك فيها القائد الاعلى والكثير من بحارته.

ابتدأت هذه السفن الابحار في فلشنج Flushing في 15 مارس 1598 ووصلت في 21 يونيو 1599 الى ميناء اشن وهو يعتبر الميناء الرئيسي لتجارة الفلفل الاسود في ارخبيل الملايو وكانت هذه السفن اول سفن اوروبية بعد البرتغاليين تصل الى هذا الميناء وفي اول محاولة لكسر الاحتكار البرتغالي ولكن ولسوء الحظ انتهت بكارثة عظيمة.

ولقد كانت نصائح الملك الدائمة في اسبانيا والبرتغال ان يقوم رعاياه بمعاملة ملك اشن معاملة جيدة وهذا ما انعكس على الهولنديين عند وصولهم الى هذا الميناء ويذكر كوتو تفاصيل الاحداث كما يلي: قبل ان يغادر د. لويس ديجاما الى هرمز جاء اليه سفراء من اشن وقام باستقبالهم احسن استقبال وبحضور كل الضباط والشخصيات الكبيرة المتواجدة في جوا انذاك وقد اجزل لهم قي العطاء واستضافهم ورعاهم الى حين موعد مغادرتهم الى اشن، لا اعلم الغرض من زيارتهم ولم يتم تسجيل الزيارة في سجل الدولة «كوتو يعتبر مؤرخ للهند من تلك الفترة الزمنية وله حق الاطلاع على السجل» على كل حال لقد عادوا راضين عن زيارتهم، وفي (3 مايو 1599) غادروا الى طرف ملكهم حاملين له



المعركة البحرية بين أسطول هولندا وأسطول البرتغال

الهدايا في سفينة كبيرة بقيادة لويز ماسيدو بوتو Luis machado Boto .

في 3 اكتوبر 1600 يصل الى جوا نائب الملك الجديد ايرس دي سلدانا Aires de saldanha وتوافق ذلك مع مغادرة الاساطيل لجوا (هذه الاساطيل غادرت بأمر من نائب الملك السابق ديجاما).

وصلت سفينة السفراء (سفراء ملك اشن) الى قلعة ملقا حيث نزلوا منها وتم استقبالهم احسن استقبال رغبة من قائدها في الامن والسلام لهذه الحامية وخاصة اذا ما علمنا ان الملك اشن قد هاجم هذه القلعة عدة مرات ومنع عنها سفن الصين واليابان، قام قائد حامية ملقا فرنو دي البوكيرك Fernao de Albuquerque بأرسالهم الى بلادهم بصحبة الفونسو فينسينت Affonso - Vicente حيث كان معروفا لدى الملك ويرافقه الأب امارو من رهبان القديس اغسطين لعلمه باللغة وقيامه بالترجمة.

عند وصول سفينة ملقا الى هناك شاهدت سفينتين هولنديتين في ميناء اشن وكانت هذه السفن هي نفس السفن التي اشتبكت مع سفن د. جورينمو كوتينهو في جزيرة سانتا هيلانا.

دخلت سفينتنا الميناء ونزل سفراء الملك منها ومعهم سفيرنا وكثير من المرافقين وكان في انتظارهم عدد كبير من المستقبليين ارسلهم الملك لذلك وتمت بعد ذلك مقابلة الملك واكرم وفادتهم وفرح بالهدايا المرسلة من نائب الملك في جوا، انتهز الفونسو فينسينت خلوته مع الملك والترجمان وطلب منه دعوة البحارة وضباطهم المتواجدين في السفن الهولندية الى وليمه والتخلص منهم جميعا وقتلهم حيث انهم قراصنة.

ويذكر جون ديفس، أن الملك أخبر (دي هوتمان) القائد الهولندي بما طلب منه البرتغالي وأبدى رغبته في التعاون معه واهداه كيسا من الذهب، وطلب منه مساعدته ضد اسطول ملك جوهر (مملكة في الطرف الجنوبي من ملقا) والذي كان في حالة حرب معه.

استعد اسطول ملك أشن لمهاجمة اسطول ملك جوهر والتحق الاسطول الهولندي به مقابل شحنة كاملة من الفلفل الاسود. ومن مختلف المصادر توجد ثلاث روايات تذكر مصير الاسطول الهولندي المذكور.

الاولى: منها تؤكد أن الملك (أشن) وجه دعوة للقائد الهولندي وقيادته الى وليمه حسب طلب القائد البرتغالي الفونسو - فينسينت وقتلهم جميعا.

اما الرواية الثانية تؤكد موت الطاقم الهولندي بالسسم الذي دس لهم في النبيذ على ظهر السفينة.

اما الثالثة وكتبت بواسطة جون ديفيس فهو يؤكد الرواية الثانية ولكنه يذكر ان العدد الباقي من الهولنديين كان صغيرا لذا قاموا باغراق احدى السفينتين وابتحروا بالثانية.

في اول مايو 1598 ابحرت ثمانى سفن تحت قيادة جاكوب كورنيلز فانك Jacob Cornelisz VanNeck وويبراند فان واريجك (way-band van warwijck) وغادرت هذه السفن الثمانية ميناء تيكسل Texl متجهة الى الشرق وصلت ثلاثة منها في نوفمبر الى بنتام والخمس الباقية بعد شهر من ذلك التاريخ في 11 يناير 1599 غادرت

اربع سفن منها تحت قيادة فانتيك الى سومطره وبعد توقف في سانتا هيلانا وصلت الى تيكسل مرة اخرى في 19 يوليو 1599.

اما السفن الاربعة الباقية غادرت بنتام في 8 يناير 1599 وتحت قيادة فان واريجك وجاكوب فان هيمسكرك Jacob van Heemskerck ووصلت امبويينا في 3 مارس (بعد ان تعرضت في الطريق الى الاعتداء من قبل اهالي جزيرة ارسيايايا وفقدت عددا من الرجال غرقا واسترجعت بعض السجناء مقابل دفع مبالغ مالية).

في 11 مارس غادرت اثنتان من السفن الاربعة تحت قيادة فان هيمسكرك ووصلت الى باندا وفي 5 يوليو عادت الى بانتام ومنها الى سانتا هيلانا في اول يناير 1600 غادرت هذه السفن سانتا هيلانا ووصلت الى تيكسل مرة اخرى في 19 يوليو 1600م.

اما السفن الباقية وتحت قيادة فان واريجك فقد وصلت في سبتمبر 1600 الى تيكسل وقد نشرت الصحيفة اليومية خبر الرحلة التي قامت بها السفن الثمانية الى الشرق.

ويبدو ان معركة بحرية كبيرة قد وقعت قرب جزيرة سانتا هيلانا وقع فيها العدد الكبير من القتلى الهولنديين والبرتغاليين وتذكر المصادر البرتغالية بانه ما ان غادرت السفن الهولندية هذه الجزيرة حتى ابتداء البحارة البرتغاليون بعملية اصلاح السفن وبعد خمسة ايام من مغادرة اسطول هولندا (30 ابريل وصلت السفينة (نوسا سنيورا دابان) وفي 3 مايو السفينة كونسيساو وفي 16 مايو وصلت سفينة القيادة من جوا واخبرهم دييجو ديسوزا عن المعركة مع الهولنديين وساعده في

اصلاح السفن وفي يوم وصول سفينة القيادة وصلت سفينتان من اسطول هولندا ولكن بعد رؤية سفن البرتغال ابتعدتا عن الميناء الرئيسي الى جزء آخر من الجزيرة ولم تكن الرياح مناسبة لمهاجمتهما وقد اهل وصولهم دي جورينمو كوتينو في البداية ولكنه ابدى استعدادا للهجوم اذا ما كانت الظروف مناسبة، ارسل قبطان السفن الهولندية رسلا لمقابلة قائد السفن البرتغالية وطلب المساعدة في الحصول على الماء فرفض القائد البرتغالي ذلك مدعيا انهم اذا كانوا فعلا اصدقاء فعليهم الاقتراب بسفنهم منه (وكان يقصد تدميرهم).

في 21 مايو وصلت السفينة التي يقودها د. فاسكو داجاما D. Vasco de gama واطلق مدافعه على السفن الهولندية فاضطرت الى مغادرة الجزيرة (سانتا هيلانا) وابتحرت الى سواحل غينيا ويذكر البحار المرافق للسفن الهولندية انهم لم يبحروا الى سواحل غينيا بل واصلوا رحلتهم الى هولندا وقد اصابهم العطش الشديد اما عن الاسطول البرتغالي فقد فشل في البحث عن السفن الهولندية فتوجه الى جوا بقيادة (دي جورينمو كوتينو).

الى جانب السفن الهولندية المتجهة الى الشرق (حول رأس الرجاء الصالح)، ارسلت هولندا اسطولين في اتجاه الجنوب غربي وكان الاسطول الاول يتكون من خمس سفن تحت قيادة جاكس ماهيو وسيمون دي كوردس.. وكان القائد البحري ويليام ارام في احدى هذه السفن، واستطاعت هذه السفن الوصول الى موانئ اليابان بعد ابحارها من روتردام في 27 يونيو 1598 وقد انتهت سفن هذا

الاسطول الى كارثة عظيمة وذكرت تفاصيلها في عدة مصادر ولكننا سوف نعتمد على مصدر كوتو لدقته.

في عام 1600 وصلت الى جزيرة اليابان سفينة هولندية وتوجهت الى ميناء شاتيفاي Oita في مملكة بانجو وحيث ان الرياح غير مناسبة في هذه الفترة من السنة فانها وفي اعتقاد التجار هناك لم تأت من الصين او الفلبين ولكن من (اسبانيا الجديدة) ونعتقد انها كانت متجهة الى مكان آخر وقد دفعتها العواصف الى اليابان، فارسل التجار البرتغاليون المقيمون في الميناء الى ملك شاتيفا يطلبون منه الاستعداد للمساعدة اذا ما تطلب الامر ذلك في نفس الوقت توجهوا الى السفينة في عرض البحر وما ان وجدوا بانها هولندية حتى عادوا مرة اخرى الى الميناء وما ان بلغت انباء هذه السفينة البرتغاليين المقيمين في نجازاكي حتى ارسلوا الى تيرازافا Tirazava (حاكم هذا الاقليم) يخبرونه ان بحاره هذه السفينة (من اللوثرين اعداء البرتغال واعداء للمسيحية كلها فاتجه حاكم الاقليم الى بنجو وطلب من السفينة الهولندية دخول الميناء وانزل حمولتها ودون كل ما بها في دفاتر رسمية تذكر لنا هذه الدفاتر ماييلي: اثنا عشر صندوقا من الاقمشة الصوفية صناديق كريات الزجاج مرايات ونظارات، خمسمئة بندقية، وخمسة الاف من الكريات الحديدية ثلاثة مائة من الطلقات، وبراميل البارود، ثلاثة صناديق تحتوي على معاطف خاصة، مسامير حديدية، مطارق، واشياء اخرى مختلفة ويبدو من ذلك انهم قد جاءوا فاتحين ويريدون الاستقرار واخبروا الحاكم بانهم جاءوا للبحث عن السفن الهولندية والتي غادرت هولندا في 1599 متجهة الى سوندا ومالوكو ولا يعلمون اي شيء عنها الان.

ويواصل كوتو روايته ويذكر ما حدث لهذه السفن كما يلي في عام «1598 خرجت خمسة عشرة سفينة من هولندا (روتردام متجهة الى الشرق وكانت تبخر في تشكيلة واحدة حتى وصلت الى ميناء غينيا وانقسمت هناك الى ثلاثة مجموعات، عبرت احداها رأس الرجاء الصالح واتجهت الى سوندا ومن هناك اتجهت اثنتان الى ميناء اشن ولا نعلم ما حدث لباقي الاسطول اما السفينة الثالثة والتي كانت تحت قيادة بلشازار داكوردا Balhazar de Corde «في الحقيقة يخطيء كوتو هنا والاسم الصحيح للقائد جاكس مايهو والذي بعد وفاته اصبح سيمون داكوردا قائدا للسفينة» هذه السفينة اتجهت الى انغولا ومنها الى مضيق مالجاس وبعدها الى احد الجزر حيث قتل عدة رجال منهم بحثا عن الماء -ومن هناك اتجهت الى قلعة شيلي في بيرو- فقاموا باقتحام القلعة وقتل ساكنيها فقام الاسبان بالهجوم عليهم من الداخل وقتلوا خمسة عشرة منهم وفر الخمسة الباقون الى سفينتهم.

في عام 1598 اتجه ثاني اسطول هولندي الى الشرق الاقصى وكان هذا الاسطول يتكون من اربع سفن هذه المرة تحت قيادة اوليفرفان نورت Olivier van Noort وابتخر هذا الاسطول في 18 سبتمبر من ذلك العام وقد صادف الرحالة تخسيرا (وهو في طريقه من مانيل الى اكابولكو في 24 نوفمبر 1600م) سفينتين من هذا الاسطول نجا منهما باعجوبة.

واشتبكت هذه السفن في معارك ضارية قرب الفلبين مع السفن الاسبانية في 24 نوفمبر و 14 ديسمبر وفقد كل طرف سفينة واحدة

بعدها اتجه فان نورت من هناك الى بورنيو حيث وصل اليها في 26 ديسمبر وبقي بها حتى 4 يناير 1601 ومنها الى جاوة وسانتا هيلانا واخيرا الى روتردام في 26 اغسطس 1601 وكان بهذا اول هولندي يبحر حول العالم.

وبينما كان الهولنديون يضاعفون من اساطيلهم الى الشرق منذ عام 1598 لم يتمكن البرتغاليون من إرسال اية سفينة خوفا من الاسطول الانجليزي الذي ينتظرها ليدمرها ولكن كان حظ البرتغال افضل من ذلك في عام 1599 حيث يذكر كوتو: «وصلت انباء الى البرتغال بان هولندا تهيب عشرة سفن للابحار الى الهند... في هذا العام قامت حكومة البرتغال ممثلة في مجلس التجار بالعزم على ارسال اسطول برتغالي جيد الى هناك بقيادة د. جورنيمو - كوتينو.

في بداية فبراير 1599 ابتدأت رحلة الاسطول البرتغالي بأربع سفن وتأخرت ثلاث اخريات - وفي السفينة اس. روك S. Rouque أبحر القبطان ديجو ديسوزا وفي أس - سيماو S. Simao القبطان الجاليسيان وسباستيو داكوستا في السفينة conceicao كونسيساو وفي السفينة باز paz جوباز فيريرا، ومعهم جو رودريجوس دي تورس وكان مرسلا من ملك البرتغال لكي يستلم مكان الفيدور. دا فازندا. في جوا. (امين الخزائن).

في شهر مارس 1599 لحقت بهم السفن الثلاث (الاخريات) وكانت الاولى كاستيلو وقائدها سيماو دي مندوكا وجو. سوارز. في السفينة س. مارتينو وجاسبر تفريديو في السفينة س. ماثيوس والذي طلب منه

قيادة قلعة مسقط - وكان على هذه السفن البقاء في الهند بعد الالتحاق بالآخرى في موزمبيق. وصلت السفن جميعها الى جوا ماعدا واحدة (كاستيلو) التي فقدت في الطريق قرب موزمبيق واستطاع ربانها سيماو دي مندوكا الوصول الى الشاطئ مع مجموعة من بحارتها ولكنهم لقوا حتفهم جميعا بعد ذلك. ومع هذا الاسطول وصلت اخبار وفاة دي فاسكو ابن الحاكم العام لجوا ونائب الملك وايضا اخبار وفاة الملك فيليب (18 سبتمبر 1598). ويعود كوتو الى الاسطول الهولندي قائلا:

«ثلاث من هذه السفن تحت قيادة ستيفن فان هاجن وقد غادر هولندا في 26 ابريل 1599 وبقي عدة اشهر في موريشوس وابتحر بعدها الى بنتام في 13 مارس 1600 ومنها الى امبويناو باندا حيث لاقت السفن الصعوبات من اهالي هذه المناطق ومقاومة من السفن البرتغالية وعادوا الى بنتام. وهناك التقوا بست سفن هولندية وغادروا معا الى سانتا هيلانا ومنها الى هولندا في يوليو 1601».

في 21 ديسمبر 1599 توجهت اربع سفن هولندية الى الشرق تحت قيادة بيتر بوث وفي 26 ابريل 1600 غادرت سفينتان اخريان تحت قيادة فان كاردن الى مدغشقر والمالديف ووصلت الى بنتام في 6 اغسطس ولحقت بهما السفينتان الاخريان بعد ذلك.

تم ارسال هاتين السفينتين بواسطة القبطان بوث الى بريامان ولكنهما توجهتا الى سومطره ومنها الى آشين في 21 نوفمبر حيث اخبرهم بعض الهولنديين المعتقلين هناك عن سوء المعاملة التي يلقونها من ملك

اشين فغادرها فان كاردن الى بنتام ووصل اليها في 19 مارس 1601. في 29 مارس وصلت ثلاث سفن هولندية الى بنتام توجهت واحدة منها الى مولكاس (ملجاس) وغادرت الاثنتان الباقيتان مع فان كاردن الى هولندا عن طريق سانتا هيلانا..

ويبدو ان الاساطيل الهولندية والتي توالى وصولها الى ارجبيل الملايو كانت مثيرة للقلق والمخاوف في جوا. ولكن ان ما يثير التعجب ان غرفة تجارة جوا لم تذكر في رسائلها الى ملك البرتغال اي شيء عن هذه المخاوف ورغم ارسالها في نفس الوقت الدعم الحربي الى ملقا وقلاع امبينو وملاكو ورغم تأكيد كوتو في مراسلاته عن نية البرتغاليين منع الهولنديين من القيام بأية اعمال تجارية في الهند او ارجبيل الملايو يبقى الصمت ملازماً مراسلات نائب الملك الى لشبونه.

وقد ازدادت السلطات البرتغالية في جوا توقراً عندما اسست شركة الهند الشرقية الانجليزية في عام 1600، واتحدت الشركات التجارية الهولندية في شركة واحدة اطلق عليها شركة الهند الشرقية المتحدة في عام 1602. هنا وفي هذه الظروف فقد البرتغاليون هدوءهم وارسلوا الاستغاثة الآتية (في عام 1603) الى ملك البرتغال:

«مع ان امور الجنوب تحتاج شرحاً اوفر الا اننا سوف نختصر - ان الجنوب مليء بالهولنديين الآن وفي هذا العام استولوا على سفينة متجهة من سامتوم الى ملقا وكانت محملة ببضائع تصل قيمتها ثلاث مئة الف كروزادوس (عملة برتغالية) ومبالغ من المال تبلغ ثلاثة او اربعة آلاف مرسله الى البنغال وقد صادروا اغنى واعظم سفينة غادرت الى الصين في التاريخ وكانت محملة بكل شيء من الهند وانتظروها قرب مضيق ملقا وفي نفس الوقت صادروا سفينة صينية. ان قلعة ملقا

لم تزود ولا نستطيع تزويدها وقد أصيبت مدينة ملقا بالمجاعة بأسباب منع الهولنديين لسفن التموين من التوجه إليها. ان هذه الامور تحتاج قراراً سريعاً وهو لديكم يا صاحب الجلالة، لقد ارسل لنا ملك اشن سفراءه يطلبون بناء قلعة في ارضه ولكننا لم نوافق، فقام بالاتصال بالانجليز من اجل ذلك - لذا نرجو من جلالتك ان ترسلوا لنا اسطولاً قوياً ويتم توجيهه الى ملقا وليس للهند خوفاً من عدم وصوله الى الجنوب حيث سوف تنتهي الهند فيما لو فقدنا الجنوب».

كانت هذه الحالة سائدة في الشرق الاقصى عندما غادر بيدرو تيخسيرا الهند في بداية 1604 عائداً الى بلاده - (للمرة الثانية).

مخطوط بيدرو تيخسيرا

اننا نعلم الآن من قراءتنا السابقة لهذا الفصل ان بيدرو تيخسيرا قضى زمناً طويلاً في هرمز يتعلم فيه اللغة الفارسية ويترجم شاهنامه توران شاه (ملوك هومز) ويلخص تاريخ فارس (مخطوط ميرخواند). وعندما عاد رحالتنا الى البرتغال في 1601 احضر معه التراجم المذكورة ولكن وبسبب عودته السريعة مرة اخرى الى الهند لامور مالية تخصه لم يدرك العالم وجود هذه الاعمال الا بعد عدة سنوات حين استقر في النهاية في مدينة انتورب الاسبانية آنذاك 1605 - 1609 ونشر ما كتبه عن ملحمة ملوك هرمز (1).

(1) كانت هذه الملحمة في نسخة واحدة مخطوطة فقدت اثناء الهجوم الانجليزي على قلعة

هرمز 1622.

وتاريخ ملوك فارس الى فترة دخول العرب اليها، وذلك بعد حصوله على تصريح خاص بذلك، واستجابة لبعض الاصدقاء قام بنشر تاريخ ملوك فارس باللغة الاسبانية بدل البرتغالية. مضيفا اليه كتاباً آخر وب بنفس اللغة عن رحلاته واسفاره حتى ابريل عام 1609.

في عام 1610 خرج كتاب تيخسيرا الى الناس عامة (لاول مرة) بمقدمة جميلة يذكر فيها اسفاره ومحتويات الكتاب وقد لاقى هذا البحث استحسان القراء واستخدمه الكتاب كمرجع لهم عندما كتبوا عن الشرق وخاصة فارس وبعد وفاته بفترة قصيرة خرج كتابه مرة اخرى بلغة ثانية (الفرنسية). وفي النهاية جاءت الترجمة الانجليزية بواسطة الكاتب جون ستيفنز John Stevens.

كانت ترجمة ستيفنز مجزأة غطى الجزء الاول منها الفترة (1600 - 1601م) و (1603 - 1605م) من اسفار تيخسيرا ونشرت هذه الترجمة في سلسلة مقالات شهرية في مجلة (المجموعات الجديدة للرحلات والاسفار) New collection of voyages and travels والمطبوعة في لندن في بداية ديسمبر 1708 والتي استمرت حتى عام 1710م.

هذه المجموعة من المقالات اعيدت طباعتها مرة اخرى في 1711 وكانت تحمل عناوين مثل رحلة بيتر تيخسيرا من الهند الى ايطاليا عن طريق البر. اما باقي الترجمة (ترجمة ستيفنز) فقد عادت للظهور في سنوات تالية في كتاب تزين غلافه مناظر ترمز الى تاريخ فارس - ويحمل عنواناً طويلاً - تاريخ فارس الحاوي على سيرة وانجازات ملوكها منذ

نشأة الملكية حتى يومنا هذا مع شرح مفصل للمناطق الفارسية ووصف للهند والصين وبلاد التتار وكرمان وجزيرة العرب ونيشابور وجزر سيلان والتيمور والمدن الكبرى مثل شيراز، سمرقند، بخارا وعادات وطبائع الفرس من عبدة النار، والاشجار والحيوانات والمقتوجات التجارية في فارس. ووصف لطرق الدفن الغريبة وحرق الموتى ومشروبات الدول المختلفة، والصيد البري والبحري، والفيزياء واشهر الاطباء في الشرق ومنجزات تيمورلنك وملخص ملوك هرمز، وتاريخ فارس المكتوب بالعربية بواسطة المؤرخ الفارسي الشهير (ميرخوند) وتاريخ هرمز الذي كتبه توران شاه ملك جزيرة هرمز ومترجم الى الاسبانية بواسطة «انطونيو تيخسيرا» الذي قضى عدة سنوات في فارس والهند وقد ترجمت هذه الاعمال الى الانجليزية الآن بواسطة الكابتن جون ستيفنز في لندن» والذي يحاول اضافة تاريخ فارس حتى بداية القرن الثامن عشر - اما تيخسيرا فانه يعطى شرحاً موجزاً لمقاطعات فارس وشجرة انساب ملوك الفرس مع شرح مطول عن تاريخ هرمز.

اما في كتابه الثاني فان ستيفنز استطاع اختصار الفصول في كتاب تيخسيرا (تاريخ فارس) من تسعة وخمسين فصلا الى ثمانية واربعين فقط، ولذا نجد ان اعادة فهرسة كتاب تيخسيرا اصبحت كالتالي:

1 - ترجمة مختصرة لمخطوط ميرخوند (تاريخ فارس). ورغم احتواء هذه الترجمة على عدة اخطاء الا انه يعود الفضل الى تيخسيرا في تعريف العالم الاوروبي بهذا الفرع من المعرفة.

2 - وترجمة مختصرة أخرى للشاهنامة (المفقودة) والتي كتبها توران شاه ونقلها تيخسيرا وله يعود الفضل مرة أخرى حيث انها الوحيدة الموجودة الآن ولقد اعترف بفضل الباحث السير هنري يول sir henry yule واكد اهميتها.

3 - ملخص لاسفاره 1600 - 1601م و 1604 - 1605م والتي نستشف منها انه كان ذا عيون قوية ودقيقاً في المراقبة والتسجيل والنقل.

4 - مجموعة من المعلومات ادخلها تيخسيرا في كتابه ملوك فارس رغم عدم ترابطها مع موضوع الكتاب واحتوائها على معلومات عن طبيعة آسيا وافريقيا والاصول السكانية فيهما والتاريخ الطبيعي والدوائي وملاحظات شخصية أخرى سواء شاهدها او نقلها عن رواة آخرين ولكنها جميعها ذات فائدة للدارسين.

لقد كانت وفاة السير دبليو اف سينكلير W.F. sinclair سببا في عدم اكتمال الترجمة الاخرى لكتاب تيخسيرا ولكن نستطيع ان ننقل رايه من الاوراق التي تركها لنا حيث يقول في يناير 1899.

«انني انظر الى تيخسيرا على انه كان شاهدا ممتازا ومراقباً ثاقب النظر ولكن لا استطيع ان اجزم حالياً على الاقل وأؤكد حقيقة كل ما كتبه (رغم ثقته الشخصية الكاملة) .. ولكن ورغم ذلك لقد ترجمت اسفاره دون حذف اي شيء منها. لقد قمت بترجمة الشاهنامة الخاصة بتوران شاه لانها النسخة الوحيدة الآن. اما بالنسبة (ملوك الفرس) فان قيمته الادبية اصبحت الآن اقل من الترجمة الموجودة لكتاب (روضة الصفا)»..

يعود السير سينكلير ليكتب في 23 يناير 1899 قائلا «انني اعتبر تيخسيرا من الرحالة الاوائل في العالم» وفي فبراير في نفس العام يضيف قائلا: «انه مسافر محظوظ لانه احتفظ باجزاء بسيطة من الشاهنامة المفقودة في هرمز»..

وفي مايو 1899 يؤكد «ان تيخسيرا كان حريصا ودقيقا كما هو متوقع اليوم من الرجال امثاله».

ويقدم لنا السير سينكلير اعتذاره قائلا: «إنني أقدم كل اعتذاري للدارسين والباحثين اذا ما وجدوا ان الاسماء المترجمة غير مقبولة حيث انني قمت بالترجمة من العربية والفارسية وحاولت ان اعطي الاسماء قدرا كبيرا من الاهتمام لتطابق الواقع والمسميات الاصلية».

مقدمة جون ستيفنز

لكتاب بيدرو تيخسيرا (ملوك فارس وملوك هرمز)

الترجمة مع مقدمة كاملة لكل الأعمال

تعتبر فارس الآن ولعدة قرون مضت من اعظم الامبراطوريات الشرقية، ومع ذلك فان المعلومات المتواجدة عنها (وباللغة الانجليزية) تكاد تكون مجزأة ومحدودة - فهناك عدة مقالات عن هذا الجزء من العالم كتبت بواسطة الرحالة وتناولت حياة الناس وطبيعة البلاد وآخر ملوك الفرس، هذا الى جانب معلومات محدودة في التاريخ التركي وكتب اخرى تذكر دخول التتار الى فارس.

ارجو ان يسمح لي القارئ لعدم وجود الفصل الاول او الثاني والخاص برحلة تيخسيرا من الهند الى ايطاليا لذا سوف اترجم (الفصل الثالث) «كيف سافرت من هرمز ووصلت الى اعالي الخليج وعبرت دجلة والفرات الى مدينة البصرة».

قمنا بالاستعداد مرة اخرى والتزود في هرمز وابتدأنا سفرنا في 17 يونيو آملين برحلة موفقة هذه المرة ولقد اكدوا لنا ان الرياح الجنوب غربية اقل سرعة ومتقطعة الآن.. وبالفعل وجدنا الفرق ولكن ليس بالصورة المؤملة.

هذه المرة توجهنا في مسار بحري مقابل لجزيرة قشم وبمحاذاة نفس الساحل مثل المرة السابقة وتجاوزنا المياه الضحلة (لخان) (1) وبعدها الى قلعة (ريشل) (2) في المنطقة المشهورة بالخيز والفواكه

(1) الخان (بندر بيدر الخان والمياه الضحلة المقصود بها هنا مياه رأس المطاف والتي نهايتها

رأس الخان.

(2) قلعة ريشل: المقصود بها ابو شهر وهو الخليج الترابي.

والخضار وتتبع هذه القلعة الملك أو الشاه الفارسي وهي محصنة ويقيم فيها العساكر، ومن هناك توجهنا شمالاً إلى (ريخ سيف الدين) (1) والمقصود به رمال سيف الدين وتسكن هذه المناطق الجماعات العربية والموالية لشاه الفرس ولكنهم يتعاملون مع البرتغاليين ويحملون معهم أوراقهم الخاصة أو جوازات سفرهم (أي أوراق وجوازات البرتغاليين) ولا تعرضوا للهلاك بواسطة السفن البرتغالية.. لقد كانت العلاقة بين رجال (بندر ريخ) والبرتغاليين سيئة جداً وذلك بسبب حوادث سابقة لذا وجدنا أن السكان قد هربوا عندما شاهدوا الغلايين - السفن الكبيرة - المرافقة لنا.

وتقع جزيرة خرج في موقع مقابل لبندر ريخ وعلى بعد ثلاثة فراسخ (تسعة أميال) من الشاطئ وتعتبر ملجأ جيداً ضد الرياح الشمال غربية - وتغطي مساحة كبيرة منها الجبال الصخرية مع توافر المياه وتكثر فيها أشجار النخيل ومزارع البصل والاعنام والماعز وتصدر منتوجاتها إلى البصرة.

ويعتبر أهالي جزيرة خرج من الأعراب من المواليين لشاه فارس. لقد توقفنا في هذه الجزيرة في يوم 25 يوليو ولمدة أربعة أيام وذلك بسبب الرياح القوية.

وعلى الساحل المقابل تقع المناطق المرتفعة من الأراضي الفارسية والتي تأتي عند هذه النقطة إلى محاذاة الساحل وتعود لتختفي مرة أخرى إلى الداخل كلما بعدنا عن هذه الجزيرة إلى أن نصل إلى مناطق أخرى ونكاد لا نراها مرة أخرى.

(1) ريخ سيف الدين: هو بندر ريخ أو ريخ.

وعند عبورنا بندر ريخ أو ريخ سيف الدين ورشلت شاهدنا مصبات
الانهار فيها(1).

اتجهنا غربا بعد ذلك وفقدنا اليابسة ليس لبعدها ولكن بسبب
انخفاض مستواها عن البحر.. ومن هنا كان قبطان سفينتنا من اهالي
جزيرة خرج ورغم انه قبطان معروف ومشهور بمعرفته للمسارات
الضيقة الا انه كاد ان يجنح بسفينتنا الى اليابسة في منطقة تسمى
(الخراب)(2). ويقال انها كانت مدينة قديمة قد غطاها البحر وكان
عرض المنطقة المذكورة اربعة فراسخ ولكن عبورها يحتاج حيلة كبيرة
مع وجود سفينة في المقدمة للتأكد من البحر.

في اول اغسطس وصلنا الى شط العرب ويسمى العرب النهر المشهور
بالشط والنهر الاصغر خور أو ود (لذا نجد في الاسبانية ود الكبير
ووديانا وهي تعني نفس الشيء).

هذا الشط ناتج عن التقاء دجلة والفرات في منطقة القرنة ومنها وعلى
بعد ثلاثة ايام تقع مدينة البصرة.

وفي القرنة وجدنا قلعة تركية تتحكم القوات المقيمة بها بالمسارات
المائية القريبة منها والتي تتوزع الى الشمال والجنوب، علما بأن المناطق
الشمالية تابعة لمبارك ابن مطلب الزعيم العربي والمعادي للاتراك وتقع
اراضيه في المناطق الفارسية ولكنه يطالب بها وبالبصرة ايضا.

(1) نهر رشلت هو خور سلطاني اما بندر ريخ فهو خور اصغر من خور سلطاني.

(2) منطقة خربة ولكنها غير موجودة الآن في خريطة المسارات المائية في منطقة الخليج
ويبدو انها كانت مدينة غمرتها المياه.

هذا الى جانب وجود مدن متميزة في منطقته مثل الحويزة والدورق والمجدم، هذه المدن تحيط بها مناطق زراعية واسعة ولكن لا يعتني احد بها خوفا من هجمات الاقراك، اما المناطق الجنوبية والواقعة في مناطق النفوذ العربية فهي تمتاز بنخيلها وبساتينها.

ينحني النهر عند مصبه حنية كبيرة ولكنه يعود الى مجراه الطبيعي قبل نهايته ويكاد يغطي مساحة ميلين في العرض وستة ابواب في العمق مع اختلاف المنسوب المائي وسرعة تدفق المياه من موسم الى آخر. وتمتاز هذه المناطق سواء شمالية او جنوبية بكثرة الطيور من الاوز والخباري والخنازير البرية وينتقل سكانها بين جزء وآخر على جلد الحيوانات المنقوخ.

وعند وصولنا الى هنا جاء الكثير من السكان العرب على الجلود المنقوخة الى محاذاة سفينتنا بقصد بيع الدجاج والبيض والزبدة والتمر واشياء اخرى رخيصة جدا.

ورغم قوة الرياح المعاكسة فقد استطعنا دخول النهر وبعد ثمانية او تسعة فراسخ وجدنا ان مسارنا المائي قد انقسم الى اثنين متساويين ومتوازيين ينحدر احدهما جنوبا خلال جزيرة العرب الى ان يصل الى القطيف قرب البحرين (1).

اما المسار الاخر فهم اعمق واوسع من الآخر ومجرى الماء فيه اقوى وبعد مسير مسافة صغيرة في هذا المجرى واجهتنا جزيرة صغيرة مليئة بأشجار النخيل (2).

(1) يبدو أن هذه المعلومات غير صحيحة.

(2) هذه الجزيرة تسمى الآن المحلة

فى 6 اغسطس الثامنة صباحا وصلنا الى سراج حيث تستخدمها السفن فى اقراغ حمولتها.

توقفنا فى سراج بقرب قلعة الاتراك فى ضاحية مباركة وللأتراك قلاع كثيرة على المسارات المائية لحماية جنودهم من هجمات الاعراب ولسد احتياجات ومصروفات الحامية وغيرها.

توجد فى هذه القلعة ترسانة للأسلحة والمدافع ومجموعة من السفن الصغيرة والغير متقنة الصنع، واننى لا اعتقد أن هذه السفن والأسلحة وجدت لتكون ضد البرتغاليين ولكن وجودها للسيطرة على العرب الثائرين ضد الضرائب الباهظة.. ولقد تم انزال سفينة جديدة أثناء تواجدى فى البصرة واننى اعتقد ان صغر حجم هذه السفن ناتج عن عدم تواجد الأخشاب وغلاء ثمنها.

ويعبر سكان القلعة القناة المائية على جسر خشبى محمول على ثماني سفن صغيرة وفى المناطق الأخرى بواسطة سفن صغيرة استخدمت فيها قطع الأخشاب الصغيرة والمختلفة ورغم ذلك فهى لا تسرب الماء حيث انها مدهونة بالقار.

تمتاز مدينة البصرة بتمورها الجيدة والمتنوعة ومنها تصدر الى بغداد وموانى فارس وهرمز وتعتبر غذاء رئيسيا فيها.

وكذلك الخضار والفواكة والحبوب والأرز وأسعارها منخفضة حيث تنافس المستوردة من بندر ريخ والدورق، هذا الى جانب جميع انواع المواشى والأسماك النهرية التى لم استسغ طعمها.

وتعتبر البصرة عاصمة التجارة ومحطة التجار القادمين من فارس

والبحرين والاحساء والهند عن طريق هرمز وبغداد وللأسف تكثر فيها العقارب ورأيت احدها بحجم سمك السرطان النهري.

وهواء البصرة غير نقي وغير صحي ومناخها حار جدا وسكانها اغلبهم من الاتراك والعرب مع ان الغالبية من العرب السكان الاصليين ويحبون الاطفال والنساء ويقال ان نساءهم غير محصنات.

يتم الانتقال البرى فى البصرة بواسطة الجمال والبغال والخيول والحمير ويصدر بعضها الى هرمز ومنها الى الاسواق الهندية.

ووجدت بعض منازل البصرة فى حالة سيئة وتنقصها بعض الجدران وقد تم بناؤها بعجل وذلك لانه ومنذ عدة ايام وقع انفجار كبير فى مخزن للبارود ويعتقد ان الف كيس من البارود احترقت وهزت بيوت المدينة بشدة حتى ان الناس ظنوا ان نهاية العالم قد قربت، وتأثرت بهذا الانفجار مبانى المدينة والتي ربما قد مضى عليها مائتا عام.

لقد استولى الاتراك على هذه المدينة منذ خمسين عام (1546) بعد ان حكمها طاغية عربي.

ليس هناك الكثير استطيع ذكره عن عادات الناس وملابسهم حيث انهم عرب واتراك، ويتعامل الناس بكل انواع النقود فضة وذهب مع ان العملة المضروبة محليا من الفضة والنحاس.

اما العملة الفضية وتسمى اللارية (نسبة الى مدينة لار فى فارس والتي ضربت اول عمله بهذا الشكل فيها) فهي عمله مستطيلة متينه الطرفين وتساوى فى الوقت الحاضر عشرة بنسات.

اما العملة الثانية فهي مستديرة وتسمى «شاهى» وتشابه عملة الريال ولكنها اقل اتقان من العملة الفضية.

ليس فى البصرة مباني ذات اهمية ولكنها تحتوى على عدة حمامات اهلية نظيفة وفى حالة جيدة ومربحة ويستخدمها الرجال فى الصباح حتى منتصف النهار والنساء من الظهر حتى الغروب ويعاقب من يخالف هذه المواقيت.

تخترق القناة الصناعية ارض البصرة وتروى منها البساتين على الطرفين واخبرنى احد المعمرين ان هذه القناة كانت تصل الى ثلاثين فرسخا داخل البصرة ولكنها اقصر من ذلك الآن.

فى احد الايام دُعيتُ الى مقابلة احد شيوخ البصرة وكان هذا الشيخ يملك كثيرا من الاراضى التى مررت بها بعد ذلك، وكان يدعى الشيخ محمد ابن رشيد وكان رجلا يستحق مركزا اعلى من ما هو فيه.

ولقد حدثنى هذا الشيخ بواسطة مترجم واخبرنى انه لم يشاهد افرنجيا من قبل (اسم يطلق على المسيحيين الاوروبيين انذاك) وقد تعجب لمظهرى وملابسى وتصرفاتى، وبعد وجبة من لحم الخراف (الغير مطبوخ جيدا) استأذنت فى الانصراف وفى طريق عودتى قام ركاب السفينة بالصلاة بعد ان مررنا قرب مبنى صغير يشبه صومعة وأخبرت بانه مزار لعيسى بن مريم روح الله وأن المزارع المحيطة به وقف لصياقته ورعايته(1).

غادرت السفينة فى مداركة وعدت الى اليابسة عن طريق قناة يجرى فيها ماء عذب واعتقد ان عمقها كان باعين الى ثلاثة وعلى جانبيها بساتين النخيل والخضار وبعد مسيرة فرسخ واحد وصلت الى البصرة.

(1) يوجد فى البصرة بعض المسيحيين واليهود والذين يبلغ عددهم ثلاثة آلاف تقريبا.

البصرة مدينة عربية على بعد ميلين جنوبى نقطة التقاء دجلة والفرات وتتصل بهما عن طريق قناة العشار.

تقع هذه المدينة فى منطقة مستوية من الارض وتحتوى على عشرة آلاف مسكن بما فى ذلك المساكن الواقعة داخل اسوارها ومسكنها كبيرة ولكن يتقصها الجمال المعماري ومبينة بالطوب المحروق الذى لا يبقى اكثر من ثلاث سنوات فى الغالب.

اما بيوت السكان الفقراء فهى مبينة من البوص والسعف اما قلعة البصرة الكبيرة فهى فى حالة غير مصانة وقد تهدمت اغلب جدرانها، ولكن لا يزال الخندق المحيط بها على حاله ومن الممكن ان يملأ بالماء من القناة القريبة، ولقد وجدت ان اغلب مساكن البصرة داخل قلعتها وكذلك قلب المدينة وشوارعها التجارية ومحلاتها المهنية.. وحاميتها المكونة من ثلاثة آلاف رجل اغلبهم من العرب والأتراك والاكراذ فرسان وحملة بنادق وقصر الباشا حاكم القلعة فى السلم والحرب ونقطة جمارك لجمع الضرائب.

الفصل الثالث

نشأة مملكة هرمز

شاهنامه توران شاه

نشأة مملكة هرمز - شاهنامه توران شاه

تاريخ مختصر لنشأة مملكة هرمز وملوكها حتى دخول البرتغاليين نقلا عن التاريخ المكتوب بواسطة توران شاه ملك هرمز. اجاد الملك توران الشاه الشعر والنثر الفارسيين واستخدم هذه المقدرة الفائقة فى كتابة تاريخ نشأة مملكة هرمز وبداية ملوكها - ولقد اطلق على مخطوطة (الشاهنامه) - تاريخ الملوك - مبتدئا بأدم. ولكن سوف احذف بعض الصفحات من هذا المخطوط وادخل فى الموضوع المطلوب وهو نشأة المملكة وتاريخ ملوكها مع ابقاء ما هو مهم وحذف المادة العديمة الاهمية.

يذكر توران شاه وجهات نظر مختلفة فى نشأة المملكة وتاريخ اول ملك يحكمها ويترك الخيار للقارئ فى الاخذ بالنظرية المقنعة والتي تناسب ذوقه الادبى والتاريخى.

ويبدأ توران شاه قائلا: «فى البداية كان هناك امير عربى يسمى محمد ضرغام أو درام (كتبت هكذا) وهو من احفاد ملوك مملكة سبأ حيث كانت بلقيس والتي قامت بزيارة سليمان لقد اراد هذا الامير زيادة ملكه (كما هو حال الملوك) فقام باخضاع الدول المجاورة له وواصل مسيره حتى وصل الى الساحل المقابل للمضيق الذى نطلق عليه نحن البرتغاليين (مضيق هرمز) وهنا طلب هذا الامير من اتباعه العبور معه الى ارض فارس حيث كان فى نيته انشاء (بندر) يكون اعظم من صحار (الميناء العربى على الجهة العربية من مضيق هرمز) والذى كان فى يوم من الايام عامرا وقد اصابه الدمار والخراب الآن).

وبعد ان استشار الامير محمد اتباعه توجه الى قليعات الميناء العربى على الخليج والواقع قرب رأس الحد ومن هنا عبر هو واتباعه الى جيسك ومنها توجه شمالا الى كوهستاق (ميناء على الساحل الفارسى) وترك الامير محمد ابنه ووزيره فى قليعات واخبرهم فى حالة فشله ان ينشأوا ميناء فيها.

عندما وصل الامير محمد الى كوهستاق وانزل رجاله من أجل البحث عن مكان مناسب له اخبره الناس عن مكان غير بعيد يسمى هرمز وهو المكان المناسب لمشروعه القادم.

وجد الامير ان المكان مناسباً فاستقر فيه وبنى المدينة (ويعتقد انه هو الذى سماها هرمز ووزع الارض على مرافقيه وضرب العملة التى حملت اسمه درامكو).

رافق الامير محمد ابنه سليمان والذى بفضلها اتسعت المدينة وازدادت خيراتها.

حكم الامير (الشاه محمد) بالعدل والحزم وكان لحكمته وسمو صفاته سبباً لتحالف حكام المناطق المجاورة (مثل شيراز وكرمان) معه. توفي الشاه محمد بعد عدة سنوات من انشاء هرمز وحكم بعده ابنه سليمان.

اما رواية توران شاه الثانية فهى كما يلى:

لقد كان والد الشاه محمد ملك فى الجزيرة العربية وقد خسر معركة ضد اعدائه واضطر لذلك ترك جزيرة العرب فعبّر مياه الخليج الى مغستان (منطقة شرقى هرمز) استقر هذا الملك مع ابنه فى ذلك الموقع الذى كان يحكمه حاكماً طاغية.

وهنا تدخل بعض القصص المتداولة عن تخفى الابن فى لباس عروس جميلة ودخوله القصر والقضاء على الطاغية وذلك بعد موافقة الاهالى وانتصار الشاه محمد وتولية الحكم.

ويعود الى الرواية الاول ويستكمل بقوله:

حكم الشاه سليمان بعد والده محمد مدة طويلة تميزت بالعدل والكرم والامن، وتوفى بعد سنين طويلة من الحكم لمملكة هرمز، وتولى ابنه عيسى الحكم وكان عادلا مثل ابيه ونصح رعاياه بزراعة الارض ووسع ملكه وتوفى تاركا الحكم لابنه - لاشكرى (العسكرى) - والذي راعى الفقراء وامتنان مثل والده بالعدل والحكمة وكان له عدة اولاد منهم كيكوباد الذى ظهرت عليه علامات الاماره فترك والده الحكم له وقضى باقى ايامه فى عزلة تامة الى ان توفى.

كان لاشكرى او العسكرى ابن عيسى مثل والده حكيما عادلا وترك بعد وفاته ابنه عيسى الثانى حاكما لمملكة هرمز وكان عيسى الثانى سادس حاكم لهذه المملكة.

امتنان عيسى الثانى بحروبه وتوسعاته والتي ادت الى اتساع رقعة مملكته وكبر شأنها.

بعد وفاة عيسى الثانى جاء محمد وكان له اولاد كثيرون ومنعا للصراع من أجل السلطة قام السلطان بتوزيع اقاربه وأولاده على مناطق مختلفة وفى قلاع محصنة لا يتركونها الا بأذنه.

لذا نجد ان الشاه محمد ارسل ابن اخيه مير شهاب الدين مالذك الى قلعة قات والتي تقع فى فارس فى اراضى ابراهيمي (1) ومغويستان.

(1) ابراهيمي هي منطقة بندر ابراهيم أو خور ميناء شرق هرمز

لم يمنع ذلك من أن يقوم شهاب الدين بالتآمر على قتل الشاه محمد ولذا قام الأخير بإعطاء التعليمات لقتل شهاب الدين الذي ما أن بلغته الأخبار حتى هرب إلى قلعة سيجون وتزوج من ابنة قائدها وولدت له ولدا سمي نصرت ركوب دار وابنة سماها ست الخاتون.

توفي الشاه محمد في هرمز دون أن يناله أحد.

تولى ابن الشاه محمد من بعده وكان يسمى شاهنشاه وواصل في البحث عن شهاب الدين إلى أن مرت عدة سنوات قامت بعدها مجموعات من أرضي (حير) بمهاجمة هرمز (1) فخرج شاهنشاه في جيشه لمواجهة الأعداء.

عندما بلغ الخبر لمير شهاب الدين عقد الصلح مع ابن عمه وطلب الإذن من والد زوجته متوجهاً هو ورجاله إلى هرمز لمساعدة شاهنشاه الذي قتل في المعركة مع الأعداء ونودي بشهاب الدين ملكاً على هرمز.

انتصر شهاب الدين على أعدائه واستخلص منهم مملكته - بعدها زوج ابنته ست الخاتون إلى الأمير سيف الدين ابن قيصر ابن علي (اخ شهاب الدين) والذي كان حاكماً لجزيرة قيس (2).

توفي علي بعد ذلك في قيس وعملاً بنصيحة شهاب الدين توجه الأمير سيف الدين (زوج ابنته) إلى قيس ليتوج ملكاً عليها.

توفي بعد ذلك شهاب الدين واستولى وزيره الرئيس شهريار على زمام الملك في هرمز.

(1) نعتقد أن هذا الهجوم هو هجوم المغول على فارس.

(2) قيس تسمى أحياناً كيش

وبوفاة شهاب الدين ثار اهالى جزيرة قيس ضد الامير سيف الدين الذى هرب الى هرمز وخرج اهاليها لاستقباله وهرب الوزير شهریار الى قلعة (خمير) مع عشرة من رجاله وواصل الامير سيف الدين زحفه عليها وقتل جميع من فيها فنودى به ملكا على هرمز.

كان اول عمل قام به الامير سيف الدين تزويج بنات شهریار الثلاث الى ثلاثة رجال من بلاطه وبعدها هجم على جزيرة قيس لينتقم من اهاليها وقتل الكثير منهم واخذ زعماءهم رهائن معه. وفى طريق عودته توقف فى جزيرة جرون او قرون (والتي تسمى الآن جزيرة هرمز) وتسلق جبلا هناك وقتل عليه رهائنه ولذا سمي ذلك الجبل (جبل الرجال القتلى) او (كوه كوشتاران) وعاد بعدها الى هرمز واستقر بها فى أمن وسلام الى ان توفى وتولى بعده (ابن اخيه) المسمى شهاب الدين محمود.

كان شهاب الدين (ابن عيسى الثانى) الملك الحادى عشر لمملكة هرمز وكان عادلا ورحيما فى حكمه.

بعد وفاته شهاب الدين محمود تولى (ابن اخيه) المسمى ركن الدين محمود السلطنة (ابن حمد) وقد ازدهرت هرمز اثناء فترة حكمه وكان لها جيش قوى كتبت له الانتصارات فى عدة معارك والتي امتدت الى ضفار وحكم ركن الدين محمود خمسا وثلاثين سنة وتولى حكم هرمز فى 676 هـ الموافق 1287م.

تولى الامير سيف الدين نصرت (ابن ركن الدين) والحاكم الثالث عشر لمملكة هرمز السلطة بعد وفاة ابيه ولكن قامت معارضة قوية بين اخوته لقوليه السلطة وقاد هذه المعارضة اخويه الامير قطب الدين

تهماتان والامير معز الدين فولاد ورغم وقوف الجنود الى جانب سيف الدين نصرت الا ان اخوته انتصروا عليه واضطر هو ووالدته (بيبي بانك) الى مغادرة مملكة هرمز توجهت بيبي بانك الى كرمان حيث قابلها السلطان جلال الدين سراج والذي احسن معاملتها وارسل جنوده مع ابنها سيف الدين واعاده الى عرشه في مملكة هرمز ومع استمرار مقاومة اخويه استطاع سيف الدين اعتقال اخيه الامير معز الدين فولاد واعدامه.

وبعد هذه الحادثة قام اخوه الثاني الامير قطب الدين تهमतان وبمساعدة مالك ابن سيف الدين ابو بكر العوني بغزو هرمز ومحاربه سيف الدين نصرت وهزيمته في (دنو) (1) مما ادى الى هرب سيف الدين الى (قمصره او كمزاره) (2).

ومن قمصره الى (لفت) والتي هي ميناء بحري في جزيرة بركت والتي تسمى الآن قشم او الجسم.

بعد هرب سيف الدين اختلف مالك مع قطب الدين تهमतان فقتل مالك ابن سيف الدين (قطب الدين تهमतان) فثار الناس والجنود واستدعوا سيف الدين نصرت ليحكم من جديد مملكة هرمز ويطرد مالك سيف الدين منها.

بعد عودة سيف الدين الى السلطة قام اثنان من باقى اخوته (الامير مسعود والامير طورخان شاه) بالتآمر عليه وقتلوه وقتلت معه امه بيبي بانك واخته بيبي عنايتي.

(1) و (2) لا نستطيع تحديد مركز دنو ولكن قمصره او كمزاره هي ميناء كمزار قرب رأس مسندم ولفت ميناء في جزيرة قشم.

وكانت مدة حكمه اثنتى عشرة سنة وقتل فى 689هـ الموافق 1291 ميلادية.

تولى الامير مسعود زمام السلطنة بعد مقتل اخيه سيف الدين وكان شديد البأس يحب الحروب وظالم كرهه كل الرجال وقتل الكثير منهم. التجأ الكثير من رجاله الى الامير بهاء الدين عياض سيفين (الوزير المعين فى ميناء قليهات بواسطة الملك سيف الدين نصرت لخلاصه ووفائه) ومن هذا الميناء العربى توجه الامير بهاء الدين وجيشه الى هرمز وطرد منها الامير مسعود فخرج لاجئا الى كرمان ومنها الى سيرجان (الاسم الاخر لكرمان) حيث قضى فيها بعد ان حكم هرمز مدة ثلاث سنوات.

تولى الامير بهاء الدين سيفين امور المملكة واعاد تنظيمها وادارتها ولكن قام اخوة مسعود لمقاومته وخرج له مير طورخان شاه ومير سلجوق فى حزب معارض له وتراسلوا مع اخيهم مسعود من أجل اعادته الى هرمز ولكن تمكن منهم الامير بهاء الدين وقتلهم فاستقر له الحكم بعد ذلك الى ان دخلت القبائل التركية الغازية ارضي فارس فى 700هـ الموافق 1302م ودمروا كرمان وهرمز وكانت ثروة هرمز العظيمة سببا فى عودة الاتراك المتكررة لهاجمتها حتى اضطر اهلها لتركها نهائيا الى مناطق اخرى.

ويعتقد هامر برجستال (Hammer Purgstall) بعد دراسة مخطوط (عبدالواصف) بان مملكة هرمز كانت تابعة لسلغراتابك فارس وبعد سقوط آخر اتابك (محمد قلهاى) قام حاكم هرمز بالاستيلاء على الجزيرة واعلن نفسه حاكما على المملكة. وقام ابنه نصرت بقتل اخيه ركن الدين وزوجته وقام ملك بن بهاء الدين غياث (احد مماليك الزوجة)

بالانتقام لسيدته وساعده فى ذلك جلال الدين ملك كرمان، ولكن فى النهاية هرب بهاء الدين الى جزيرة قيس وقابله المفتى جمال الدين مفتى فارس واعطاه اثنتى عشرة الف قطعة من الذهب (من ايرادات التاج الفارسى) وذلك لتشكيل جيشه الجديد وبعد هزيمة مسعود توجه الى جزيرة لارك وجمع مبلغ الفين من التوامين الذهب والفضة واشياء اخرى ثمينة وتوجه الى هرمز ونادى على المنبر باسم فخر الدين احمد بن ابراهيم العتيبي قام المفتى جمال الدين الشيرازى (والذى ذكرنا اسمه سابقا والذي هو جامع ضرائب فارس) بالتوجه الى هرمز حيث قامت اضطرابات بينه وبين فخر الدين حاكم الجزيرة وتحولت هذه الاضطرابات الى مواجهات عسكرية بينهما.

لم يتدخل بهاء الدين غياث لمساعدة صديقه السابق (جمال الدين) ولكنه ساعده فى النهاية على الهرب من الجزيرة بعد هزيمته.

فى السنة التالية (15 يوليو 1296) وعندما اصبح جمال الدين مسئول عن ضرائب فارس وسواحلها وجزرها دخل هرمز مرة اخرى على رأس جيش عظيم وطلب من بهاء الدين اخلاء الجزيرة.

وقام المفتى بمساعدة ركن الدين مسعود وقواته ولكن تصدى لها بهاء الدين غياث وهزم بهاء الدين السفن الحربية الخاصة بالمفتى وركن الدين ولاحقها الى جزيرة قيس وقام بنهبها. لقد أثر ذلك فى ملك الاسلام (المفتى جمال الدين) وازداد قلقه على السفن التى سوف تصل من الهند مع الرياح الموسمية لذلك عقد المفتى الصلح مع بهاء الدين غياث وفخر الدين العتيبي.

تبدو هذه المعلومات مشوشة ولكن تم نقلها كما هى مكتوبة بالانجليزية.

جزيرة قشم

تقع جزيرة قشم بمحاذاة الساحل الفارسي يفصلهما مسار ضيق من بحر الخليج، ويبلغ طول هذه الجزيرة خمسة وعشرون فرسخا وعرضها اثنان الى ثلاثة فراسخ.

لقد امر غياث اهالى هرمز بالعبور الى هذه الجزيرة واستجابوا له بكل طاعة ونقلوا معهم كلما استطاعوا حملة وما تبقى من ممتلكاتهم بعد غزوات الاتراك.

وبعد استراحة عدة ايام قرر غياث البحث عن جزيرة اخرى ووصل الى جزيرة قاحلة على بعد فرسخين من قشم تسمى جزيرة قارون (حيث كان يسكنها رجل مسن وزوجته يصطاد السمك ويبيعه على ركاب السفن المتوجهة من جزيرة قيس الى الهند، مقابل الارز والملابس ارسل قارون الى غياث فى طلبه علما منه برغبته فى جزيرته ووصل غياث اليها وبعد معاينتها استقر الرأي على السكن فيها دون اخذ اذن من حاكم جزيرة قيس الذى كانت هذه الجزيرة والجزر الاخرى فى الخليج تابعه له.

وجزيرة قيس كما يسميها العرب والفرس هي جزيرة صغيرة تقع فى وسط مضيق البصرة وفيها منابع الماء وكثرة الاخشاب وكانت الى وقت مضى مركزا للمملكة ولكن كسدت تجارتها بسبب اللصوص القادمين من نخيلو ونخل تقى والذين يقومون بأعمال القرصنة فى المياه المجاورة لجزيرة قيس والتي ادت الى تدهور التجارة التى كانت تعادل تجارة هرمز فى وفرتها وحجمها. كان ملك جزيرة قيس يسمى معين وحكم

جزيرة قارون أيضا وعين فيها شيخ للدين يسمى الشيخ اسماعيل من قرية قرب لار وكان هذا الشيخ يطوف بالجزر المحاذية سنويا لجمع الهبات له وللفقراء في بلدته (1).

وبعد لقائه بغياث قام الامير بارساله الى حاكم قيس يطلب منه بيع جزيرة قارون او اعطاءها لغياث دون مقابل واستطاع الشيخ اسماعيل الحصول على الجزيرة لغياث واهالى هرمز هبة من معين اليهم ولكن اصر غياث على دفع ثمن الجزيرة نقدا واعترافا بفضل الشيخ اسماعيل اصبح من عادات ملوك هرمز اعطاء احفاده مصروف سنوى (وقد شاهدت ذلك انا بنفسى اكثر من مرة).

وبعد ان امتك غياث جزيرة قارون اطلق عليها اسم جزيرة هرمز لكي لا ينسى الجميع مملكتهم هرمز ولكن بقيت هذه الجزيرة في ذاكرة العرب والفرس جزيرة قارون وكذلك لم تفقد هرمز الاصلية اسمها رغم اطلاق الاسم على الجزيرة بعد استقرار اهالى الاولى فيها.

ولكن يروى باروس قصة مختلفة عن جزيرة قارون حيث يقول (Barros) «ان ملك قيس كان موافقا على بيع جزيرة قارون (الى غوردنشاه) ولكن رفض بعض من اتباعه وزوجته عملية البيع بحجة ان هذه الجزيرة تتحكم فى مدخل المضيق ولكن تدخل القاضي الشيخ دينار (وتعنى هنا مفتى قيس) فقام ملك قيس بعد مجابهة عنيفة مع زوجته باعطاء الجزيرة الى غوردنشاه ويقول باروس ان الرشاوى لعبت دورها الى جانب اعطاء الشيخ دينار مساعدة دائمة لمسجد سوف يقوم ببنائه

(1) المقصود هنا الشاه اسماعيل الصفوي.

فى بلدته وهذا ما جعل ملوك هرمز يخصصون مصروفاً سنوياً لهذا المسجد حتى اليوم فى مدينه لار».

اما كوتو فيقول «ان المعارضة جاءت من ام ملك قيس وليس زوجته». يقسم البحارة الهنود الخليج الى قسمين الاول منهما مضيق هرمز ويبدأ عند جوارى فى فارس وخليج عمان والثاني مضيق البصرة من هرمز او قارون الى مدينة البصرة نفسها والتي تقع فى رأس الخليج حيث يلتقى دجلة بالفرات عندها - ويبلغ اتساع الجزء الأول مائة فرسخ اما الثاني مائتا فرسخ تقريباً.

وتقع جزيرة هرمز او قارون (والتي يبلغ طولها ستة الى سبعة اميال على مسافة 5 اميال من شواطئ فارس ابتداء من دوسر وعلى بعد تسعة فراسخ من ارض الجزيرة العربية مع اختلاف الشواطئ على الجانبين فهى احسن للملاحة على الجانب الفارسي.

تحتوى جزيرة هرمز او قارون على بعض المعالم ذات الاهمية لذا سوف اذكر بعضها للقراء:

جزيرة هرمز بركانية لذا تغطيها الجبال العالية والصلبة فى كل اطرافها مع صفاء جوها وملوحة مائها وتحتوى على كميات كبيرة من ملح الطعام الجبلى والبحرى والمفضل منهما البحرى حيث تأخذه السفن الى البنغال ولهذه الجزيرة ميناءان (او بندران) شرقي وغربي طبيعيان وكأنهما قد تم حفرهما فى الصخور واهم بندر فيهما الشرقي حيث بنيت قلعة للبرتغاليين تعتبر احسن قلعة فى الشرق من حيث القوة والعمارة والتخطيط وفى مكان هذه القلعة كان يعيش قارون والذي سميت الجزيرة على اسمه.

ورغم وجود ينابيع الماء الا انها كلها مالحة ولذا تُجمع مياه الامطار وتخزن للاستعمال. ماعدا فى بقعة واحدة من الجزيرة وتسمى (توران باغ) حيث يوجد بها بئر تروى منه مزارع الملك والوزير (توران باغ يعنى بستان توران) فى هذه البقعة تنمو اشجار كثيرة ولكن باقى الجزيرة يخلو من الاشجار مع وجود شجرة واحدة تجدها كل مكان تسمى شجرة الكنار وهي خضراء طيلة العام وهناك ندرة شديدة فى الاعشاب ويكاد يكون (السنامكى) ويسميه بيدرو (سنامن مكه) هو العشب الطبي الوحيد فيها. ويصنع سكان الجزيرة من الطين المالح اواني لحفظ الماء (قلل) يبرد فيها بطريقة مذهلة.

واذكر اننى عندما كنت فى هرمز فى عام 1596 كان ملكها فيروز شاه الرجل العجوز والذي وقع فى غرام اموال بيبي فاطمة (ارملة احد رعاياه) والذي كان يدعى رئيس بدر الدين والذي كان وزيراً فى موغستان فى فارس. حاولت بيبي فاطمة خذلان ملك هرمز فطلبت منه ان يزرع بستان جديد ويحفر بئرا فى (توران باغ) علماً منها بأن هذا مستحيل، ولكن ولجشع ملك هرمز قام بما امرته به بيبي فاطمة ولكن مع ذلك لم يحصل الملك على اموالها.

بالقرب من توران باغ وقرب البحر هناك بئر للماء يسميه اهالي هرمز (عبدالرحمن) وماءه ذو فوائد طبية وشربه يسبب الاسهال لذا يتوافد الاهالي فى موسم معين لشرب الماء منه وبعد نوبة الاسهال يتناولون البرتقال او الليمون حتى تخرج حبوب الثمار مع الاسهال عندها يعتقدون انه تم لهم الشفاء فيتوجهون الى تناول الوجبات الرئيسية.

يتوفر الصيد الكثير فى هذه الجزيرة من الغزلان والطيور وتعجب كيف تعيش هذه المخلوقات فى مكان لا يتوفر فيه الماء العذب وتوجد الذئاب ولا احد يعلم كيف تعيش فى هذه الجزيرة.

لقد كانت مدينة هرمز عامرة قبل الان وقد ازيلت حاليا بعض المساكن من اجل بناء القلعة اما المنازل الباقية فهى جيدة البناء واستخدمت احجار الجزيرة فى بنائها وبعض الاحجار قطعت من البحر وتمتاز بخفتها وتقاوم الزلازل التى تشتهر بها الجزيرة ويستخدم الاسمنت المسمى كج فى البناء ويجلب من الارض الفارسية لأن المحلي منه احمر اللون واقل جودة وتستخدم مادة اخرى فى البناء يضاف اليها الماء وتسمى (صاروج) وتجمع هذه المادة على هيئة تلة وتحرق الى ان يتحول لونها الى الابيض ثم تضرب بواسطة مجموعة من الرجال العرب (الذين يمتهنون هذه المهنة) الى ان تتحول الى ذرات صفار تستخدم فوراً والا تتحول الى مادة غير صالحة لو تركت اكثر من يوم دون استخدام.

ان مادة الصاروج تقاوم الماء ولها استدامة طويلة.. وتستخدم هذه المادة فى بندر عباس ايضا (جامبرون).

يمتاز اهالي هرمز ببياض البشرة وحسن الطلعة. وتمتاز النساء فيها بالجمال ويتحدث الجميع بالفارسية ولكن ليست بنفس القدرة التى على اليابسة. بعض شيوخها سنة والبعض من اتباع الإمام علي ولكن الغالبية سنة وكذلك ملوكهم. هذا وتتواجد جنسيات ومذاهب اخرى على الجزيرة مثل المسيحيين والنسطوريين واليهود والوثنيين، والبانيان

واليعقوبيين وأما عن الجنسيات فهم من البرتغال والارمن وأهالي جورجيا (الجرجان) والبنغاليين والكامبين (من ميناء كامبى أو كامبايا). ورغم عدم وجود المنتوجات الزراعية على الجزيرة إلا أن عملية الاستيراد كبيرة وبأسعار معقولة ويبيع كل شئ بالوزن، مناخ جزيرة هرمز صحي ولا توجد الامراض فيها وخاصة فى الصيف وذلك بسبب الجو الحار والعرق الشديد الذي يطرد الامراض من الابدان. ولكن تكثر الامراض فى الخريف.

وختاماً فإن جزيرة قارون جزيرة مفتوحة لكل العالم ويتم فيها تبادل كل انواع السلع التى تجلب اليها بواسطة التجار من مختلف جهات العالم هذا وإننى سوف اعود الآن الى موضوعي الأصلي نشأة هرمز ويقال ان نشأة الجزيرة مرتبط باسمها الذي اطلق عليها فى عام 700 هـ 1302م ولقد نمت وازدهرت بالرفاه الاقتصادي حتى سبقت كل الاجزاء الاخرى فى فارس والجزيرة العربية ووصل نفوذها الى البصرة.

وبقيت على هذا المستوى الى ان دخلها البرتغاليون ومارسوا فيها الاضطهاد (يبدو ان بيدرو تيخسيرا يذكر الحقيقة هنا ولكن يحاول ان يتحاشى المواجهة مع السلطات البرتغالية فيقوم بمدح قبطان الحامية ديجو مونى برتو (Diego munis barreto) ليغطي على ذلك.

حكم غياث سيفين الجزيرة مدة عشرة سنوات ويقال انه توفى فى نهاية هذه الفترة (فى عام 711 هـ الموافق 1812م) وفى حكاية اخرى انه بعد استتباب امور هرمز تنازل عن الملك الى عز الدين غوردنشاه ابن

سلغر وبيبي زينب وحفيد الملوك الاوائل وعاد غياث بعد ذلك الى ولايته وزيرا في قليهاة وتوفى بها.

- ان لقب بيبي والذي ذكرته عدة مرات يعنى بالفارسية السيدة -
يعتبر الامير عز الدين غور دنشاه ثاني ملك لهرمز في عهدا الجديد
والسادس عشر في عهدا القديم (ويعتبر كوتو وباروس ان هرمز
اعلنت استقلالها في عهد عز الدين غوردنشاه عن السلطة العربية
والفارسية) وبعد توليه السلطة ارسل سفراءه الى جزيرة قيس للملك
معين لعقد الصلح ولكن رفض معين هذا الصلح في عام 714 هـ الموافق
1815م وحاصر ملك جزيرة قيس وجنوده وسفنه الكثيرة العدد جزيرة
هرمز مرة اخرى ولكن تمكن غوردنشاه من التحصن وتوفير المؤن
الازمة حتى ان الاسعار لم تتغير اثناء فترة الحصار ولم يكن هناك
نقص في الغذاء وبعد حصار دام اربعة اشهر طلب ملك قيس الصلح
ولكنه كانت له نوايا سيئة في ذلك وعقد موعد للقاء الملكين وعلى ساحل
الجزيرة نزل ملك قيس في انتظار ملك هرمز وما ان وصل الاخير حتى
حمله الأول (حيث كان قويا جدا) الى طرادا (سفينة) وهرب به الى
جزيرة قيس امام انظار اهالي هرمز.

عندما وصل الخبر الى زوجة غوردنشاه (بيبي سلطان) طلبت من
ملك غياث الدين دينار ابن اخيها شاهنشاه أن يتولى الحكم في الجزيرة،
وبعد خمسة اشهر عاد ملك قيس ومعه ملك هرمز مقيداً على سطح
طرادا وفي منتصف الطريق هبت عاصفة عظيمة اغرقت السفن
وتحطمت السفينة التي تقل غوردنشاه على سواحل هرمز فأنقذه

الناس ولكن لم يستنازل ملك غياث الدين دينار عن السلطة لذا التجأ غوردنشاه الى بيت خواجه محمد كاتب وكان هذا الشخص السكرتير الخاص لغوردنشاه - ونظراً لعدم اطمأنائه انتقل في نفس الليلة الى الاراضي الفارسية واستقر في قلعة ميناپ.

جمع غوردنشاه جيوشه بمساعدة الملك عز الدين حاكم شيراز لغزو هرمز وعندما بلغت اخبار استعدادات الغزو ملك هرمز توجه بجيشه الى ميناء سرميون (باسيدو اوباسعيدو) في جزيرة قشم لكي يمنع القوات الغازية من التزود بالماء وبعد وصوله الى هناك بلغته اخبار السفن العشر التابعة لملك قيس والقادمة من الهند والمتواجدة في مسار مائي بين هرمز ولارك فتوجه الى الموقع المذكور وقام باحتجاز السفن التجارية في جزيرة هرمز.

ضربت القوات الغازية (مائة وعشرون سفينة) عاصفة قوية قرب ميناء سرميون وتحطمت غالبية السفن المهاجمة والتجأ الباقي منها الى جزيرة هنجام.

عندما بلغت انباء استيلاء غوردنشاه على سفن الهند استعد ملك قيس لمواجهة.

فاستعد له غوردنشاه في اثنا عشر الف من جنوده ونزل بهم الى ساحل جيرو (او شيرو) وهزم ملك قيس مع فقدان الاخير لكثير من السفن والرجال فلحق به غوردنشاه بعد استماعه لنصيحة قائده البحري سلغر صخر ركن الدين وألحق الهزيمة الكاملة بأهالي وجنود جزيرة قيس.

عندما بلغت الاخبار ملك غياث الدين ورأى ان رجاله تخلوا عنه الى غوردنشاه هرب الى مكران (مملكة بين فارس والسند).

فجاء الامير عز الدين غوردنشاه الى جزيرة هرمز وبقي فيها سنتين وتوفى في 717 هـ الموافق 1318م.

تولى الامير مبرز الدين بهرام شاه ابن عز الدين غوردنشاه امور المملكة بعد وفاة ابيه وكان الملك السابع عشر لهذه الامارة ولكن اتفق الجنود في الحامية الواقعة على اليابسة ان يعينوا اخيه الشاه قطب الدين مكانه واتوا به من بركه (اقرب موقع بهذا الاسم بركة بندر او بركة ميرزاي) الى ميناب.

خرج بهرام شاه لمواجهة اخيه قطب الدين فوجده مع اخ آخر يدعى ملك نظام الدين فحاربهم وانتصر عليهم وعاد الى هرمز.

وكان كبار قاداته مير شهاب الدين يوسف ومير تقي الدين زنكشاه الاول في البحر والثاني في البر وقد اثارهما الحسد فقاما بإثارة الاضطرابات في المملكة مما ادى الى اعتقالهما وهجم رجال قيس مرة اخرى على الجزيرة ولكنهم هزموا مثل المرات السابقة. وفي اثناء الموقعة اضطر بهرام شاه لاطلاق سراح السجينين وتوجه للملاقاة اخويه مرة اخرى حيث اثارا المتاعب من جديد ولكن ولسوء الاحوال الجوية عاد الى منزله في الليل.

في منتصف تلك الليلة جاء القائد مير شهاب الدين يوسف الى بوابة القصر ومعه الجنود الراجلة والراكبة وطلب الملك مدعيا ان يبني سلطان سلغر قد هجمت على الجزيرة فخرج الملك وتبعته أمه واخيه نظام الدين

عجم شاه، فالقى القبض عليهم جميعا واخذهم الى السجن واعلن نفسه ملكا على الجزيرة وكان ذلك فى 718 هـ الموافق 1319م.

فأنقسم الناس الى مجموعتين الاولى مع مير شهاب الدين يوسف الملك والأخرى مع مير قطب الدين اخ الملك المسجون - انتهر ملك دينار الفرصة وعاد من مكران مع قوة عظيمة مدعيا انه جاء لمساعدة ميرشاه قطب الدين ولكن بعد وصوله الى الجزيرة التحق بالطرف المنتصر (مجموعة مير شهاب الدين يوسف) - قامت بيبي سلطان اخت دينار وبيبي نظام الملك زوجه مير شهاب الدين يوسف بمساعى للصلح ولكن قام شهاب الدين يوسف بقطع رؤوس الملك السابق وامه واخيه لكي يبقى الملك له وحده - فتوجه شهاب الدين الى قليهاة مع بيبي مريم زوجة (عياض) غياث سيفين، وسمع شهاب الدين يوسف ان رجال جزيرة قيس سوف يعودون مرة ثانية لغزو الجزيرة فتوجه لملاقاتهم ولكنه خاف مواجعتهم فعاد ادراجه الى مملكته.

ولكن وبعد سنة واحدة عاد شهاب الدين من قليهاة مع الملك جلال الدين قويس (اوتونيري) ومعهم خواجه جمال الدين نعيم واخذ هرمرز فى غفلة وزج بشهاب الدين يوسف فى السجن.

فقام مير شهاب الدين ابن غوردنشاه بالانتقام من مير شهاب الدين يوسف وقتله وقتل معه زوجته بيبي نظام الملك وقتل معه ابنه مير عماد الدين أوسين، واخاه الامير أوسين وكان الجميع سجناء فى قلعة (جنر او جتان) ولكن بعد فترة من الزمان قام كل من ملك جلال الدين قويس وخواجه جمال الدين نعيم (واللذان اعادا الشاه قطب الدين الى

مملكة هرمز) بالتأمر عليه لتولى أمور المملكة بدل منه ولكن بلغه خبر المؤامرة فهربا وغرق جمال الدين نعيم في البحر أما ملك جلال الدين قويس التجأ الى جزيرة قيس وبقي الشاه قطب الدين في مملكته هرمز في أمن وسلام لمدة عشر سنوات.

لقد توفي ملك قيس العجوز وتبعه في الحكم ملك غياث الدين وغزى هرمز في جيش عظيم اثناء فترة الصيف حيث يقضى الشاه قطب الدين هذه الفترة في موغستان على اليابسة هربا من حرارة الجو في هرمز ولكن قام محمد سوركاب وابراهيم سلغر (قادة قطب الدين) بالدفاع عن القلعة وردوا الجيش المهاجم فتوجه شاه قطب الدين الى جزيرته واعد اسطول ظخم لمهاجمة جزيرة قيس انتقام من ملكها وبالفعل تم الهجوم وتكبدت جزيرة قيس الكثير من القتلى والدمار الشامل واخذ ملكها غياث الدين اسيرا وقتل هو وبعض من اتباعه.

وقام الشاه قطب الدين بتحسين جزيرة قيس وترك فيها حامية كبيرة وتوجه بعدها في طريق عودته وفتح جزيرة البحرين المشهورة بلؤلؤها ومائها العذب الذي ينبع من البحر وسوف اقوم بتقديم شرح عنها (وكان ذلك حوالي 1880م).

جزيرة البحرين

تقع البحرين في مياه بحر البصرة بين جزيرة قارون او هرمز والبصرة وتكاد تكون المسافة بينهما وبينها متساوية وتبلغ مائة فرسخ من البحرين الى كل موقع من المواقع المذكورة (هرمز والبصرة) وهي قريبة من ساحل جزيرة العرب ومقابلة للقطيف والتي تقع في الاحساء المنطقة التابعة للاتراك وكل سكان البحرين من العرب ماعدا وزيرها الفارسي وحاميته الفارسيه وهي تابعة الآن لملك هرمز ولكن وفي عام 1602 قام الشاه الفارسي بامتلاكها بالخيانة.

يكتب السير روبرت شيرلي في اكتوبر 1614 الى شركة الهند الشرقية قائلاً والبحرين جزيرة مقابلة لساحل الجزيرة العربية وعلى بعد اربعين فرسخاً من الساحل وممتوجها الرئيسي السلؤلؤ والذي يعتبر احسن لؤلؤ في العالم وقد اخذها ملك فارسي من البرتغاليين وترك فيها حامية تتكون من 800 جندي فارسي وتحيط بهذه الجزيرة الصخور المرجانية والتي تجعل الملاحة في مياهها صعبة جداً.

ويكتب توماس بويس الى اللورد سالسبري قائلاً:

(في 10 يونيو 1609) «اخذت جزيرة البحرين بواسطة ملك فارسي منذ ست سنوات اي (1608).

ويؤرخ مؤرخ ثالث تلك الحدث قائلاً بعد ان قسام وزير البحرين بقتل أحد التجار فيها واستولى على لؤلؤه قام اخ القتل وقتل الوزير منتقماً لمقتل اخيه واستولى على قلعة البحرين وفتحها للفرس وقرر قائد هرمز دي بيدرو كوتينهيو (D. pedro Cotinho) ارسال اسطول تحت قيادة دي - فرنسيسكو سوتامايير - (D. Francisco desotomayar) لاستعادة البحرين.

وارسل وزير من هرمز (او رئيس من هرمز) عن طريق البير لنفس الغرض.

فلما بلغ النبا حاكم شيراز الله وردي خان ارسل جيشاً كبيراً تحت قيادة ادم سلطان ليحاصر ميناء جامبرون (بندر عباس) لكي يصرف البرتغال انظارهم عن البحرين وفعلوا كاد البرتغال ان يستعيدوا البحرين ولكن ونتيجة لتغير قائد هرمز بواسطة نائب الملك في الهند (نتيجة وشايه) وتعيين قائد جديد (دييغو منزيس بارتو (Diogo Menzis Barreto) والذي اصيب بالمرض نتيجة لتفشي الحمى به وبجنوده البرتغاليين المهاجمين واصرار اهل البحرين في الدفاع عنها كل ذلك ادى الى فشل مهمة القائد البحري - caspardemello de-

sampaio (جاسبردوميلو نيسامبايو) (يبدو ان هذا ثاني قائد ترسله هرمز الى البحرين) ويروى جويقا (Gaouvea) انه ما ان بلغت انباء الاسطول البرتغالي المتوجه من الهند الى البحرين في عام 1608 تحت قيادة دي - جورج - دي كاستيلرانكو (D. George. d. Cas- telbranco) قام اللهوردي خان بارسال اسطوله لحاصرة بندر عباس (جامبرون) واحتلال مناطق في هرمز تابعة للكه. ولكن أمره الشاه بالعودة الى شيراز واعادة البحرين الى البرتغاليين ولكن هذا الامر لم ينفذ. (هذه معلومات خاطئة).

وفي رسالة مؤرخة 25 فبراير 1605 يبدي ملك اسبانيا مخاوفه من احتلال الاتراك للبحرين ويأمر نائب الملك في الهند بأن يقوم باسترجاع الجزيرة من الفرس وان يأخذها بالقوة او بالرشوة لقائد الحامية حتى يتم تسليم قلعتها الى البرتغاليين ويواصل الملك اهتمامه بالجزيرة في رسائل لاحقه لنوابه في الهند وكانت آخر رساله بهذا الصدد في 21 مارس 1617 ولكن بسقوط هرمز في 1682 سقطت معها احلام البرتغاليين في استرجاع البحرين.

ان تراب البحرين خصب ومنتج وخاصة لأشجار التمر والتي توجد بكثرة في هذه الجزيرة ويوجد قليل من القمح ولكن الكثير من الشعير. وتعتبر الوجبة الرئيسية في البحرين الارز ويستورد من الهند عن طريق هرمز.

وتوجد آبار في البحرين ولكن اغلبها ليس عذبا ومع ذلك يصلح ماؤها للشرب، واحسن هذه الآبار (حنينية) وهذا البئر عميق ويقع في وسط الجزيرة وتأتي بعده في الجودة تلك الينابيع التي تتواجد تحت سطح البحر.

وفي مدينة المنامة (المدينة الرئيسية في الجزيرة) وعلى عمق باعين او ثلاثة من سطح البحر توجد ينابيع المياه العذبة ويقوم بعض الرجال بملء جلد الماعز منها ويعتبر البعض منهم هذه العملية وسيلة للرزق طول النهار واخبرني احد المعمرين في البحرين ان هذه الينابيع كانت على اليابسة ولكن مع مضي الوقت غمرها البحر واعتقد ان من هذه

الينابيع اخذت الجزيرة اسمها (البحرين) وربما يكون رمزاً لمجريين من الماء يمران في الجزيرة ولكن اعتقد ان التسمية الاولى اصح. تشتهر البحرين باللؤلؤ وسوف اعطى ايجازاً عن طريقة صيده. توجد في الشرق مصائد اللؤلؤ واشهرها تلك التي في الخليج والآخرى في مزار في الهند وذلك هو الموقع الذي بين جزيرة سيلان وجزء من شبه القارة الهندية يسمى (توتان كوري) باللهجة المحلية ولكن نسميه نحن البرتغاليين (كوموري) ويلي هذا المكان بندر كورو منه تصدر انواع الارز (في البنغال).

يبدأ الغوص في البحرين في شهر يونيو وأحياناً في يوليو ويستمر حتى شهر أغسطس ويتكون اسطول الغوص من مائتي سفينة او ربما اقل مائة من البحرين وخمسون من جلفار (رأس الخيمة) وخمسون من نخيلو وتتجه هذه السفن الى ساحل قطر على بعد عشرة فراسخ جنوب الجزيرة وبعد صيد الاصداف تفتح لازالة اللؤلؤ منها وتمتاز لألىء البحرين بالجودة والوزن الثقيل ولو قارنا لؤلؤة بنفس الحجم من مكان آخر مع لؤلؤة من البحرين نجد ان وزن البحرينية اكبر.

ويبلغ حجم تجارة اللؤلؤ في البحرين خمسمائة الف (دكتا) وذلك غير الكمية الكبيرة المهربة بعيداً عن عيون الوزير تحاشياً للضرائب - وتدفع البحرين سنوياً الى قائد هرمن مبلغ اربعة آلاف دكتا ضرائب من ايرادات اللؤلؤ فيها. (يبدو ان ذلك قبل دخول الفرس الى البحرين).

وتستخدم اوزان القيراط والمثقال في عملية وزن اللؤلؤ ويعتبر قيراط عباس ثلث القيراط وكل اربعة وعشرين قيراطاً مثقالاً واحداً - ويعادل المثقال عشرين او ثلاثين او حتى اربعين لؤلؤة صغيرة.

ويغوص الغواص فى البحرين بعد ربط الحجر فى قدمه وعلى عمق اثني عشر الى خمسة عشر باعا.

هذا وهناك مغاصات اخرى تستخدم فى شهر سبتمبر قرب نخيلو والبحرين وجلفار واخرى قرب مسقط ورأس الحد وكلها تقع فى بحر هرمز الضيق ولكن لا تمتاز هذه المغاصات بالوفرة.

اما عن المغاصات الشرقية الاخرى فهى تسمى شيلاو (على بعد ثمانية واربعين ميلا من كولومبو) وسميت هذه المواقع على اسم ميناء فى جزيرة سيلان فى السابق وتعنى هذه الكلمة (المصائد) باللهجة المحلية والتي يطلق عليها لهجة الشانجلا.

ويدخل موسم الغوص فى سيلان فى شهر ابريل وبداية مايو وذلك حوالي شهر او شهرين قبل بداية موسم الغوص فى البحرين . وذلك لأن الصيف يأتى مبكرا الى سيلان عنه فى البحرين والبحر يكون هادئا - ويتكون اسطول سيلان من اربعمائه الى خمسمائه سفينة تحمل كل سفينة من ستين الى تسعين بحارا ثلثهم (كروة) (غيص) والباقون مانديسا (السيب) ويكون كل اثنين منهم لغواص واحد وتنقسم السفينة الى عدة اجزاء تسمى (بتاقا) وتعنى حجرة او جزءا من تجويف السفينة حيث يضع كل غواص ما يصطاده على حدة عن غيره ويسمون المحار (شيبو) ولا يقومون بفتحها حتى يؤذن لهم بعد توقف الصيد وتستمر عملية فتح الاصداغ ستة عشر يوما (ثمانية ايام لكل مجموعة). وتصطاد كل سفينة يوميا من مائة الى الف محارة ولا يحاولون اصطياد اكثر من ذلك محافظة على اسعار اللؤلؤ.

وبعد مضي ستة عشر يوماً إذا كان الصيد غير كافٍ تمدد الفترة الى نصف (بيلو) اربعة ايام او بيلو كامل (8 ايام) ويكافأ الغيص يومياً لقيامه بعمله (اي يعطى نقوداً مقابل العمل) ويعطون ما يصطاده الغيص في غطسة واحدة لربان السفينة ويحتفظ بالباقي لنفسه (لذا توضع كل مجموعة على حدة) ويقرر ربان السفينة المجموعة التي يختارها لنفسه، هذا وفي نهاية كل اسبوع له صيد يوم كامل وتقدم كل سفينة صيد يوم كامل لحاكم المدينة (مدينة مدوره) وكانت في السابق تقدم كمية لزوجته قائد الحامية البرتغالي ولكن اوقفت هذه العادة الآن بأمر من رؤساء الشركة (اليسوعيين) والذين يديرون منذ بداية القرن السابع عشر الامور التجارية والدينية لسكان الساحل الشمال غربي للجزيرة رغم معارضة (الرهبان الفرنسيكان) ولقد اوقف اليسوعيون ما كان يقوم به القائد البرتغالي لمخالفته للنظام. ويغوص الغوص الى عمق عشرة ابواع وتشارك سفينتان برتغاليتان في حماية اسطول الصيد خشية هجوم قراصنة ملبار - ويشترك ما يقارب من خمسين الى ستين الفاً من التجار والبحارة وصيادي الاسماك والخدم في موسم الغوص ويقيمون في معسكرات متنقلة وتبلغ ايرادات اللؤلؤ مليون ونصف من العملات الذهبية كل عام.

وبعد انتهاء موسم الغوص يعلن عن بدء فتح المحار وتلتقط اللآلئ

ولكن يعلق باروس (Barros) ان شيلاو تعنى سالا بام بلغة التاميل ومعناها الغوص.
اما السنهابيون فيقولون بندر هالغاتا (بندر صلوات) كما يسميه ابن بطوطه اما التاميل فيقولون سالا بام وتعنى مصائد اللؤلؤ.

ان وجدت في المحار وتؤخذ الى ميناء توتان كوري حيث يقام سوق لبيع اللؤلؤ من شهر يونيو حتى اكتوبر ويتم تسعير اللؤلؤ بطريقة قياس (الجو) وتباع اللآلىء في مباني مثل مبنى الجمارك حيث يشرف عليها دالين تابعين لحاكم البلاد (النايك) حيث يأخذ 4٪ من سعر البيع ولا يأخذ اي شيء من المشتري. وللمشتري حق تغير رأيه بعد يومين دون جزاء.

الى جانب عملية البيع المنظمة تتم معاملات سرية في اللؤلؤ المهرب تحاشياً من ضرائب الحاكم وتشتري وتباع حسب نظام (الجو) ايضاً. وتوجد لآلىء في الصين ولكنها ليست بنفس الجودة وتسمى (توبوس) (اغطية) لاشكالها الغريبة وقد كتب الكثير عن اللؤلؤ ومع احترامي لكل ما كتب لا استطيع ان اتفق معهم في الرأي القائل بأن اللؤلؤ يتكون نتيجة نقطة مطر تسقط داخل المحاره حيث انه لا يعقل ان تطفو هذه المحارة الثقيلة الى السطح لكي تبتلع نقطة المطر ونعلم ايضاً انه كلما كانت المحاره على عمق اكبر كلما كانت اللؤلؤة اكثر جودة.

ولقد وجدنا انا واليسوعيين والوثنيين العاملين في صيد اللؤلؤ ان هناك جزءاً من المحارة لو قطع وصقل يتحول الى لؤلؤة كما لو كانت غير ملتصقة ولذا اؤكد ان اللؤلؤ يتكون من نفس مادة المحارة بسبب او آخر ويساعدني في هذه الفرضية بأن تركيب اللؤلؤة هو نفس تركيب المحارة الحاوية لها.

ولكن اتعجب من الاطباء الذين يستخدمون اللؤلؤ في الوصفات الطبية.

بعد هذا العرض الكامل والذي ادخله بيدرو تيخسيرا في سياق الحديث من غزو البحرين يعود الآن الى مملكة هرمز مرة اخرى. عندما احتل شاه قطب الدين البحرين احتل القطيف وديراب (جزيرة تجاه شط العرب) وربما - هندرابي - واصبح سيد الشواطئ الخليجية العربية والفارسية واصبح له دخل مادي كبير. وكان لشاه قطب الدين اخ يسمى نظام الدين والذي احبه كثيرا ولكن كان الاخير يتآمر على اخيه قطب الدين.

رافق نظام الدين اخيه الملك قطب الدين في رحلة صيد الى اليابسة في منطقة (رودخانه سور) (نهر الملح) في اتجاه (سريدون) فانتهز نظام الدين الفرصة مدعيا انه يطارد ارنب برى واتجه هو ورجاله الى (دوسر) مقابل جزيرة هرمز وهناك عبر البحر وعاد الى هرمز وسقطت في يده بسهولة حيث كان كبار القوم في معية الملك في الصيد. فعاد الملك الى الساحل المقابل واستقر في (كولجهان) واخذ يستعد للعبور الى جزيرة هرمز وكان ذلك في 745 هـ او 1345 م.

وبعد استقرار نظام الدين في هرمز ارسل الى المناطق التابعة له رسله ليخبرهم بذلك ويطلب من الولاة فيها الولاء له واعدا اياهم بالهدايا والمكافآت. لم يستجب الولاة لهذا الطلب ماعدا (هيراقتان) والتي طلبت منه في الصيف ارسال دعم عسكري يساعد الاهالي ضد هجمات رجال قطب الدين مهددين انه فيما لو تأخر هذا الدعم فانهم سوف يتحولون الى قطب الدين.

قرر نظام الدين العبور الى اليابسة للدفاع عن مناطق نفوذه مستعينا

بوزراء قطب الدين وقيادته العسكرية ولكن رفض الجميع مساعدته ماعدا (عمر ضياء الدين) حارس البوابة واحد القادة الكبار والذي أعلن ولاءه لنظام الدين.

بعد ذلك عبر نظام الدين الى اليابسة وتوجه الى منطقة كولجهان فتقابل الجيشان جيش نظام الدين وجيش قطب الدين وكان عمر ضياء الدين وبقيّة الجيش في صف نظام الدين لذا قرر قطب الدين شاه التراجع الى (اسكونير) (منطقة قرب الساحل وعلى بعد اربعين فرسخا من ارض المعركة) وعبر البحر الى قليهات في جزيرة العرب وبقي هناك سنة واحدة. كان انتقال قطب الدين الى قليهات بادرة انتعاش اقتصادي حيث تحولت السفن القادمة من الهند الى قليهات بدل هرمز.

«يذكر ابن بطوطة بانه عندما كان في ظفار بلغه ان السلطان قطب الدين تهماتان ابن تورانشاه ملك هرمز قد هجم عليها في اسطول عظيم ولكن ارسل الله عليه عاصفة حطمت سفينه ولذا عقد الصلح مع ملك ظفار بدل احتلالها» وتبدو هذه الواقعة وكأنها تؤكد ما يذكره بيدرو تخسيرا..

بعد استقرار قطب الدين في قليهات وصلت انباء عن موت نظام الدين وانه قد اوصى ابنيه شميمه وشادى بالتوجه الى قليهات وارجاع المملكة الى قطب الدين مرة اخرى ولكن لم يفعل ذلك (وحسب رواية ابن بطوطة ان نظام الدين مات مسموما) اقام قطب الدين العزاء لاخته وارسل رسائل تعزية مؤثرة الى ابني اخيه يخبرهما فيها انه يعتبرهما مثل اولاده.. ولكن لم يهتم الابناء لذلك وقاموا بالضغط على الاهالي والطغيان واصبح وجودهما خرابا للمملكة.

عندما علم قطب الدين بذلك جهز اسطوله وتوجه الى جكن (ميناء قرب جسك) وكانت مسكونة بالاعراب ودخل اسطوله في معركة مع اسطول ابن اخيه فهزم اسطول هرمز وهزم ابن اخيه فعاد قطب الدين منتصرا من المعركة الى «كوستك» حيث قابله ايوب شمس الدين احد قادته البحرين ومعه دعم عسكري من هرمز لمساعدته فاتجه قطب الدين ومعه الاسطول الى هرمز ووصل الى ميناء (قارون في شرق هرمز) عندها سلم ابنا أخيه نفسيهما اليه وذلك بشرط الابقاء على رجليهما فقام الملك قطب الدين بنفيهما الى البحرين.

اعاد قطب الدين تنظيم امور الجزيرة واعاد اسعار المواد الغذائية الى سابق عهدها وسمح للهاربين والمنفيين بالعودة اليها واعاد اليهم املاكهم ولكن ما ان وصل الاخوان الى البحرين قاما بالاستعداد مرة اخرى لغزو هرمز.

قام السلطان قطب الدين بالاستعداد من جانبه لدخول البحرين «ويؤكد ابن بطوطة ذلك قائلًا عندما دخلنا هرمز وجدنا السلطان قطب الدين تهماتان ابن تورانشاه وهو رجل طاعن في السن يستعد للحرب ضد ابني اخيه نظام الدين وكان كل ليلة يعلن نية البدء في الحرب وكان وزيره شمس الدين محمد ابن علي القاضي امام الدين الشونكري. وجاء الكثير من الرجال لزيارتي ولكن اعتذروا في الرحيل لانشغالهم باستعدادات الحرب وبقينا ستة عشر يوما وبعد مقابلة السلطان وابن اخته على شاه ابن جلال الدين. ولقد ادى استلام نظام الدين السلطة بالانقلاب على اخيه قطب الدين (اثناء غياب الاخير عن المدينة) الى

حروب تعتبر المواجهة الحالية بين قطب الدين وابني اخيه جزءا منها وقد استقر قطب الدين في قليات وحاول عدة مرات استرجاع هرمز من اخيه نظام الدين ولكن باءت كل محاولاته بالفشل الى ان قرر ارسال رسول منه الى زوجة اخيه نظام الدين بغرض دس السم له وتم ذلك فمات نظام الدين مسموما وقرر عندها قطب الدين العودة الى هرمز فهرب ابني اخيه مع ثروات كبيرة الى جزيرة قيس وقاموا من هناك باعمال القرصنة واعتراض السفن المتوجهة الى هرمز ودمروا جزءا كبيرا من تجارتها.

اننا وبالإشارة الى ما يذكره ابن بطوطة نجد ان هناك تقاربا في الاحداث ماعدا اننا نستطيع ان نؤكد ان التاريخ الذي يذكره ابن بطوطة لزيارته ربما كان 1346 - او 1347م ولكنه يذكر انه ترك اليمن لزيارة مكة في 732هـ الموافق 1338م وزار هرمز بعد عدة سنوات قادما من الصين ونعتقد انها كانت 1347م ولكنه لا يذكر اي شيء عن الثلاثة الايام التي قضاها في هرمز في زيارة ثانية.

نواصل مذكرات بيدرو تخسيرا قائلا ان السلطان قطب الدين توجه الى ملاقاته ابني اخيه ودخل جزيرة قيس حيث كان يقيم شادي والذي انتصر في الحرب ضد جيش عمه السلطان.

توجه السلطان مرة اخرى الى هرمز وعاد للهجوم على قيس ولكنه لم يجد شادي بها حيث توجه الى البحرين لملاقاة اخيه شنبه فدخل قطب الدين جزيرة قيس وسلبها وترك بها حامية كبيرة وعاد الى هرمز ليستعد لغزو البحرين.

عندما علم شادي وشنبه ما جرى لجزيرة قيس توجهوا من البحرين اليها بقصد استرجاعها ولكن وفي منتصف الطريق هجرهما جنودهما وقادتهما والتحقوا بالملك واشهر هؤلاء القادة شمس الدين محمود وكمال الدين اسماعيل ونصر الدين مصلح وهم من الزعماء الكبار.

وقبل توجههم الى هرمز مروا بجزيرة قيس وانذروا حاكمها ميرطاهه باحتمال وصول اسطول البحرين. ومن هناك توجهوا الى لفت في جزيرة قشم واخذوا معهم مير سابق الدين «قائد قلعتها» الى هرمز خوفا من هجوم الاسطول القادم للحرب.

لم يتراجع الاخوان شنبه وشادي فابحرا في اتجاه جزيرة قيس ولكن لم يسمح لهما بالتوقف فيها فواصلوا الابحار الى لفت.

ارسل ملك هرمز قواته الى المقدمة لملاقاة اسطول البحرين وتوقفت هذه القوات في ميناء (دارجون) قرب لفت في جزيرة قشم فقام جيش الملك بالهجوم البري والبحري وهزم اسطول الاخوين والذي اضطر الى العودة بعد خسائر كبيرة الى جزيرة البحرين وبعد وصولهما الى البحرين ابتداء الصراع بينهما كل يتهم الاخر بسبب الهزيمة التي حلت بهما فقام شادي باعتقال شنبه وزج به في السجن وكاد يقتله لو لا تدخل والدتهما في ذلك والتي قامت باطلاق سراح ابنها شنبه.

وما ان اطلق سراح شنبه حتى توجه الى قرية قرب شيراز (تدعى فال) واستقر بها وهذه قرية جاء منها كل وزراء هرمز والرؤساء شرف الدين ونور الدين وبدر الدين «يبدو ان ملوك هرمز اختاروا وزراءهم من طائفة (الخواجه) والتي استقرت اصلا في قرية فال، والرئيس

والرؤساء هم حكام وعلى جميع المستويات ويخضعون لملك هرمز اما الشريف او الاشراف فهم خزنة الملك».

لما ادرك حاكم شيراز شخصية الرجل المقيم في قال ارسل في طلبه واکرمه وعامله معاملة عظيمة.

وعندما جاء الصيف توجه الشاه قطب الدين ملك هرمز ومرافقوه في البلاط الى نخلستان (في مغوستان) على الارض الفارسية حيث تكثر الاشجار والمياه العذبة وذلك لقضاء فترة الصيف ولكن توفاه الاجل هناك بعد عدة ايام من وصوله وكان ذلك في 747هـ الموافق 1347م.

بعد وفاة الاب تولى الابن توران شاه ابن قطب الدين شاه الحكم في هرمز وهو الذي كتب الشاهنامه الخاصة بهرمز وتاريخ ملوكها وبصورة مطولة وليس بالصورة التي اقدمها الآن وكان ملكا متواضعا احبه الناس وما ان تولى اماره هرمز حتى ارسل حاكما نائبا عنه الى جزيرة قيس (محمود عمر) رجل شجاع وذو كفاءة ادارية وخبرة طويلة.. ومع علم شادي في البحرين بشجاعة واقدام محمود عمر في قيس فإنه لم يتراجع عن محاولة دخولها باسطوله مرة اخرى والتي تبعها عملية التآمر التي قام بها مع احد اقارب محمود عمر للنيل منه في الفرصة السانحة فقام شادي بطلب الصلح ورغب في لقاء محمود عمر من اجل ذلك وعندما تم اللقاء جاء شادي الى المكان المخصص واستطاع ان يعزل محمود عمر في مكان بعيد عن مرافقيه وسمل عينيه وكانت هذه العملية من الوسائل التي يمارسها ملوك فارس وهرمز انتقاما من المناوئين لهم وخاصة من اقربائهم. وفي هرمز كان هناك برج قريب من

(دير سانتا لوسيا) الآن، هذا البرج كان يستخدم لسجن من تم تنفيذ ذلك الحكم فيهم من اقارب ملوك هرمز وكانت هذه العملية تتم بواسطة تسخين وعاء من النحاس على النار حتى يتوهج وبعد ذلك يتم تقريبه من عيون المحكوم عليه، وتؤدي الحرارة والتوهج الى تلف عصب العين مع بقاء العين كما هي دون وجود اية جروح او اصابات خارجية.

وبعد ان عمى محمود عمر اصبح شادي حاكم قيس المطلق فارسل ملك هرمز اسطوله الى قيس لاعتقال شادي ولكن وبرغم الحصار المضروب على الجزيرة استطاع الفرار والتوجه الى لفت في جزيرة قشم فوصل الملك الى ميناء دار جون قرب لفت وهناك تولى اصدقاء شادي عنه والتحقوا بمعية الملك فهرب شادي مرة اخرى الى البحرين وتوفي بعد وصوله اليها فقام توران شاه بقولية ابن شادي على البحرين.

ما ان بلغت انباء وفاة شادي الى اخيه شنبه في شيراز حتى توجه مسرعا الى البحرين وقام باحتلالها والانتقام من كل من ساعد اخيه ضده وقتل الكثيرين ولم يسلم من ذلك حتى الاطفال (قتل ولي العهد والذي كان طفلا انذاك) وهرب الكثيرون من الجزيرة فتصدى له (ميرعجب) ومرافقيه وعائلته وهجموا على منزل شنبه وقتلوه.

بعد مقتل شنبه تم اطلاق احد الزعماء المسجونين (محمد البهلوان) وطلب منه ميرعجب ان يتنازل اليه (اي الى ميرعجب) بحكم البحرين ولكن رفض البهلوان ذلك وتوجه الى قلعة القطيف برفقة زعيم عربي اخر من (الصفاف او الصحاف) ويسمى حمد الرشيد اتجه الاثنان الى

الشيخ ماجد حاكم القطيف يطلبان مساعدته العسكرية ضد مير عجب، وعلى غفلة متهما قام الشيخ ماجد بالقاء القبض عليهما وارسالهما مخفورين الى هرمز برفقة الزعيم (علي المشدى).

لما بلغ السجناء هرمز اخبروا ملكها تورانشاه عن ماجرى في البحرين فابحر معهما اليها وقابل هناك ميرعجب والذي طلب من الملك تعيينه حاكما عليها مقابل ما قام به تجاه الطاغية شنبه.

على عكس ما توقع ميرعجب قام الملك توران شاه بعزله عن حكم البحرين فالتجأ الى (الدير) ولكن قام رجال توران شاه بالقبض عليه واحضاره الى ملكهم والذي امر بقطع رأسه واطلاق سراح السجينين (البهلوان والشيخ حمد الرشيد) وتوجه توران شاه بعد ذلك الى القطيف حيث لاقاه شيخها ماجد بكل حفاوة واحترام وبعد مضي عدة ايام هناك عاد الى البحرين ومنها الى هرمز مرة اخرى.

الى هذا الحد من التاريخ المذكور عن ملوك هرمز كان مصدرنا مآكته الملك توران شاه والذي حكم ثلاثين عاما توفى بعدها في 779 هـ الموافق 1378م. وتبعه في الحكم ابناؤه وكما يلي:

الاول مسعود وتلاه شهاب الدين وبعده سلغرشاه والذي حكم الجزيرة والجزء من اليايسة المقابل لها ويقال انه اراد في لحظة من لحظات عنفه ان يدفن البحر بين الجزيرة واليايسة لتصبح هرمز مملكة واحدة وهو الذي كان يغنى باعلى صوته ضد الدولة الصفوية قائلا (قلب اعدائي يحترق لانني رجل في ارض محاطة بالبحر) ويعنى عدم استطاعة الدولة الصفوية الانتقال عن طريق البحر الى جزيرته ومع ان

الدولة الصفوية ملكت السواحل كلها واليابسة لكنها لم تغز جزيرة هرمز.

توفى سلغرشاه وبعده تولى (الشاه ويس) الحكم وتلاه الشاه سيف الدين وكان الاخير ملك هرمز عندما دخلها الفونسو البوكيرك في 1507 ورغم الوجود البرتغالي بقيت العائلة الملكية تتولى السلطة في الجزيرة مع بقاء سلطتهم في حدود الجزيرة وعلى رعاياهم الاصليين فقط وحدت السلطة البرتغالية من تغلاتهم الى خارج الجزيرة دون اذن من قائد حامية هرمز البرتغالي. وبما انه لم يكتب احد من الملوك الذين حكموا بعد توران شاه اي شيء عن تاريخ هرمز وملوكها لذا اتوقف عند هذا الحد من تاريخ هذه المملكة.

تعقيب ورواية اخرى عن توران شاه :

يذكر عبدالرزاق «احد زوار هرمز» ان ملكها كان فخر الدين توران شاه عند زيارته لها ويبدو في مقارنة الفترة الزمنية التي توفي فيها توران شاه بان الاولاد الاربعة الذين تبعوه في الحكم هم في الحقيقة ابناء ابنه فخر الدين وليسوا ابناءه ولكننا لا نعلم فترة حكم فخر الدين ولكن نستطيع ان ندرك بانه في هذه الحالة خلفه ابناءؤه بالترتيب الاتي: الاول مسعود والذي حكم الى ان توفي وبعده شهاب الدين (ونستطيع ان نؤكد في هذه الحالة بان نهاية عهد فخر الدين توران شاه تقع في الفترة القريبة من 1455م) وقد زار هرمز (جوسافا باربارو) من البندقية حيث يقول ان سيد البلاد يدعى سلطان شهاب الدين ويقول

ايضا ان هرمز تدفع الجزية الى الملك عاصم بك (حاكم فارس التركماني في تلك الفترة الزمنية) والذي توفي في 1478م ويبدو انه من القوارب المقدمة من زيارة باربارو بان شهاب الدين قد حكم احدى عشرة سنة فقط 1465-1476م.

اما باروس (Barros) فهو يقول انه عندما توفي توران شاه الملك خلف بعده ماجد وشهاب الدين وسلفر وحافظ وان حكمهم استمر عشر سنوات للأول وحدى عشر للثاني والثالث سنة ونصف.

اما كوتو (Coutto) يقول ان توران شاه خلف اربعة اولاد مسعود شاه، شهاب الدين سلغر وشاهويس والذين تميز عهدهم بالارهاب ماعدا مسعود شاه، والذي حكم عشر سنوات وشهاب الدين وحكم احدى عشرة سنة، وشاويس وحكم سنة ونصف، أما سلغر فقد هرب الى الاحساء بعد ثورة اخيه عليه واستعان بملك الاحساء وعاد بجيش كبير استرجع بواسطته الحكم مرة اخرى.

اما باروس فيقول ان سلغر كان حاكما لقلبيات عندما استولى اخوه الاصغر على السلطة ولذا هرب سلغر الى الاحساء واستعان بالرئيس نور الدين والرئيس كمال رئيس شيلاو واستطاعوا هزيمة شاويس وسمل عينيه.

ملوك هرمز في الفترة البرتغالية:

رغم ان ملوك هرمز وبعد دخول البرتغاليين اليها اصبحوا دمي في ايدي السلطة البرتغالية الا ان العائلة المالكة استطاعت ان تواصل

وجودها الاسمي والذي يخلو من اية سلطة او حضور اداري واستمر الحال كذلك الى ان قام الصفويون بطرد البرتغاليين من هرمز 1622م. ومع ذلك يذكر كوتو مرة اخرى بان سيف الدين حكم عشر سنوات تلاه اخوه توران شاه والذي حكم تسع سنوات ويبدو ان هذا التغيير حصل في عام 1515م حيث يذكر كوريا (Correa) بان الملك في هرمز يسمى توران شاه والذي كان يبلغ من العمر اثنتين وعشرين سنة وان والدته كانت حبشية وفي رواية اخرى ان هذا الملك دس وزيره له السم وعين مكانه شاباً يبلغ الثالثة عشرة من العمر يسمى محمد شاه ابن سيف الدين ويعتقد ان ذلك كان في 1522م ويعكس كوتو ذلك قائلاً ان توران شاه جاء بعد محمد شاه ابن سيف الدين والذي حكم تسع سنوات فقط ويبدو ان لسيف الدين ولدان في عام 1515 احدهما في التاسعة والثاني في الثانية وانه في عام 1532 نفى اخ الملك (وهو شاب يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً وكان يدعى الرئيس علي) الى جوا في الهند لمحاولته دس السم الى الملك محمد شاه وبعد وفاة محمد شاه قام قائد حاميه هرمز باختيار احد ابنائه (اي ابن محمد شاه) ويبلغ من العمر ثماني سنوات وتم تعيينه ملكاً للبلاد في عام 1534 وقتل الطفل المذكور بالسم مرة اخرى نتيجة مؤامرة من عمه في جوا (الرئيس علي) ونقل الرئيس علي وهو الوريث الشرعي للملك من جوا الى هرمز وسلم زمام السلطنة ولكن تم ترحيله مرة اخرى الى جوا في عام 1541 نتيجة لجنونه وافراطه في شرب الخمر واعيد مرة اخرى بعد سنتين ولكنه لم يبق طويلاً في الحكم.

ويذكر كوتو انه بعد وفاة سيف الدين خلفه سلغر شاه ابن توران شاه والذي ثم ترحيله سابقا بواسطة القائد البرتغالي الى جوا منعنا لانشقاق وانقسام العائلة وابقاه في كوشين وكان له ولد يسمى توران شاه والذي كانت والدته حبشية وتسمى (بيبي غزاله) وذلك لتشابه عيونها بعيون الغزال واعيد سلغر الى هرمز بعد وفاة سيف الدين لاستلام الحكم وتوفى في نوفمبر 1543 مسموما.

وتختلف الرواية مرة اخرى حيث يذكر كوريا انه بعد وفاة سلغر استلم السلطة ابنه توران شاه ويؤكد مؤرخ آخر (كوتو) أن القائد البرتغالي نونو دي كونها Nuno de cunha كان قد نفى والد توران شاه وعمه (بابوشاه) الى جوا وان الاخير تزوج من امرأة من تلك البلاد ورزق بأبن سمي فاروق شاه وانه بعد بلوغ بابوشاه التسعين من العمر قرر العودة الى هرمز وحصل على تصريح بذلك من القائد البرتغالي دي بيدرو ديسوزا D. pedro desousa والذي تم تعيينه قائدا لحامية هرمز في 1562 ويقول كوتو انه في عام 1568 توفى توران شاه وتبعه الرجل المسن بابوشاه والذي لم يستمر حكمه اكثر من سنة وحكم بعده ابنه فاروق شاه وتصف المراسلات البرتغالية انه نصب حاكم في احتفال كبير وتدل على انه اعطيت له الصلاحيات المعطاء سابقا للملك توران شاه في 18 مارس 1569.

ويبدو انه حكم مدة طويلة حيث توجد مراسلات برتغالية تذكر ان الملك العجوز يود ان يتنازل الى ابنه الثاني محمد شاه والذي كانت والدته أخت الوزير ولم يوافق نائب الملك في الهند على ذلك حيث نصح

فاروق شاه ان يعين ابنه الاكبر فيروز شاه وان يحاول تزويج ابنه هذا من ابنه الوزير ويبدو ان الملك فاروق شاه قد توفي في 1561 وتم تعيين مير فيروز شاه مكانه وانه قد توفي في فبراير 1601 وعين مكانه اخوه محمد شاه.

ودخل الانجليز والفرس الى هرمز في عام 1622 وانتهى بذلك عهد البرتغاليين فيها وكان اخر حاكم عليها محمد شاه وتم اعتقال الملك وعائلته ونقلوا جميعا الى فارس (اصفهان) وبذلك انتهت مملكة هرمز الى الابد.

الفهرس

3	- الإهداء
5	- تاريخ الخليج والبحر الأحمر في أسفار بيدرو تخسيرا
8	- بيدرو تخسيرا
35	- وصول الإنجليز والهولنديين إلى الشرق
46	- ملخص لرحلة السفن الهولندية
56	- الهولنديون في الشرق
67	- مخطوط بيدرو وتخسيرا
72	- مقدمة جون ستيفنز لكتاب بيدرو تخسيرا
82	- نشأة مملكة هرمز - شاهنامه توران شاه
90	- جزيرة قشم
101	- جزيرة البحرين
115	- تعقيب ورواية أخرى عن توران شاه
116	- ملوك هرمز في الفترة البرتغالية

هناك حقبة، أو بمعنى أصح، فسجوات في تاريخ منطقة الجزيرة العربية والخليج، لا تزال معرفتنا قاصرة عنها، ليس بسبب عدم توفرها، ولكن بسبب عدم توفر الباحثين المهتمين بهاجس التاريخ، هاجس شخصي، هاجس يؤرقهم، للبحث في استكمال هذه الحقبة، أو هذه الحلقات، أو هذه الفجوات في تاريخ المنطقة.

وتأتي سلسلة مطبوعات الأيام التاريخية لتحاول كجهة نشر، تحمل هذا الهم التاريخي، ولتساهم بشكل متواضع في خلق توجه عام للاهتمام بهذا الاتجاه في النشر في منطقتنا، ولتخلق وعياً متجذراً لدى القارئ إزاء تاريخ المنطقة.

وتأتي سلسلة كتب الموسوعة البرتغالية من ترجمة وإعداد د. عيسى أمين لتشكّل محورا من هذه المحاور التي نريد أن نرسخها من خلال هذه الأعمال التاريخية، التي تحاول أن تقدم إلى عشاق التاريخ، ومحبي المعرفة، جزءا من المعرفة، لم تكن غارقة في البحور مثلما غرقت كثير من السفن، ولكنها كانت غارقة في لغة أخرى، وفي خزائن معرفة أخرى.

وتأتي هذه السلسلة لتحاول نقل هذه الكنوز من المعرفة إلى لغتنا، وإلى تاريخنا، وإلى رؤيانا المعاصرة لتلك المرحلة، والتي أوصلتنا إلى ما وصلنا إليه في هذه النقطة الراهنة من تاريخ الخليج المعاصر.



To: www.al-mostafa.com